NEW
NOUVEAU
جديد

روايات سوفنير SOUVENIR

# الفتاة العنيدة

4

سيموندا ريفيللي

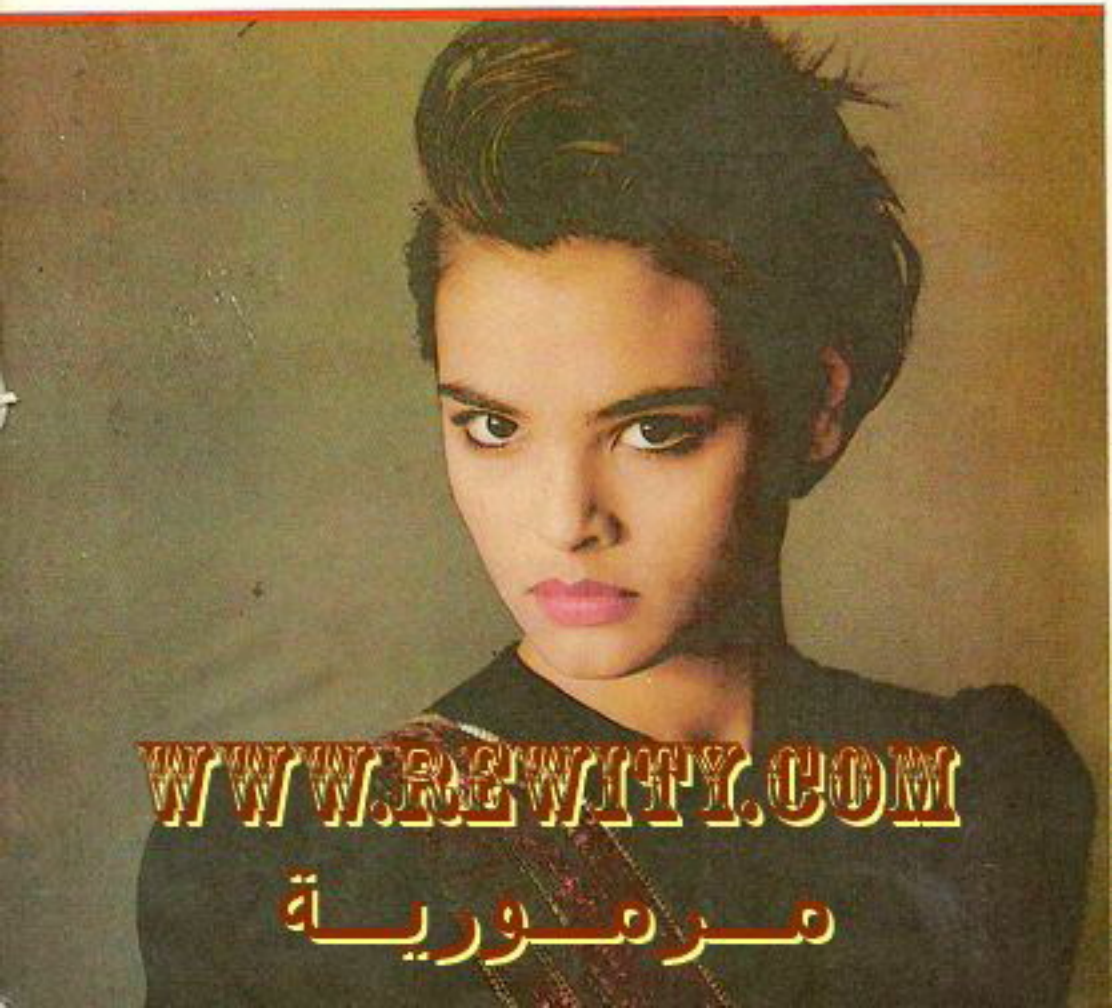



WWW.REWITY.COM
مرمورية

## سلسلة روايات سوفنير الرومانسية

تزوجت رباب، رغم أنفها، من رجل الأعمال، الثري هلال. لكن عاطفتها كانت تتجه نحو رؤوف الذي كان يعاني من ضيق العيش، مما اضطره للسفر بحثاً عن مستقبله.

وأنجبت رباب من هلال ابنها هلال، وابنتها دلال. لكن هلال بعد أن أصبح شاباً يافعاً، قتل في حادث مؤسف، فحزنت على شقيقه دلال، التي كانت تعتبره أعز مخلوق لديها.

عاد رؤوف بعد أن تزوج ورزق ابناً أسماه ماجد. أسس رؤوف متجراً، وراح يعمل فيه بمساعدة ابنه الشاب وبعض الأجراء.

علمت رباب بعودته، وعاد حنينها إليه، فراحت ترسم الخطط لتزويج ابنتها دلال من ماجد. لكن السحر انقلب على الساحر و . . . .

مقتبسة عن أشهر الروايات الايطالية والأوروبية وقد تم تعريب شخصياتها وأحداثها لتتماشى مع آداب السلوك والحشمة في بلاد المشرق العربي. روعي في سرد أحداثها، إبراز العواطف النبيلة والملتزمة لكي تدخل البيوت من أبوابها وتكون بمثابة المرشد الصالح للشباب والفتيات، بحيث أنها لا تشكل حرجاً أمام الآباء والأمهات من خلال قراءتها.

روعي في إعدادها الاعتماد على مجموعة من القصصيين والتربويين المتخصصين في العالم العربي. وتم التركيز على إبراز الهدف والعبرة المفيدة منها، من خلال واقعية الأحداث المشوقة، والرجوع إلى الأصالة والأخلاق الحميدة والتربية الصالحة

لقد شاء القدر أن تتزوج رباب من رجل أعمال واسع الثراء يدعى جلال. كان كل همه أن يوسع أعماله وأمواله، دون أن يوفر الوقت الكافي بتمضيته بين زوجته وأولاده. نعم لقد أمّن لهم كل أسباب الراحة والإطمئنان، لكنه حرم ابنه وابنته من حنان الأب.

كان دائماً يقيم الحفلات في منزله لرجال الأعمال ومدراء مجموعة شركاته، وكانت رباب تضطر للترفيه عنهم إرضاء لزوجها ومصالحه التي لا حدود لها.

ضاقت رباب ذرعاً بهذا النمط من الحياة، خاصة بعد أن فقدت إبنها الوحيد، طلال، في حادث مؤسف أثر عليها وعلى ابنتها دلال، التي كانت تعتبر شقيقها كل شيء في حياتها.

في هذا الخضم من الحياة، أخذت رباب تستعيد ذكريات عاطفتها الأولى حيال الشاب رؤوف، الذي لم يتمكن من الزواج منها بسبب الضائقة التي كان يعاني منها، والتي اضطر بسببها إلى السفر إلى بلد بعيد ليبني مستقبله.

بعد فترة عاد رؤوف إلى البلاد، بعد أن تزوج ورزق إبناً، أصبح شاباً يافعاً، سمّاه ماجد. أسس رؤوف مشتلاً للنباتات، راح يعمل فيه بمساعدة ابنه ماجد وبعض الأجراء.

شاءت الصدفة أن يذهب جد دلال، وهي بصحبته، إلى مشتل رؤوف لشراء بعض أشتال أشجار جبال الألب.

علمت رباب بعودة رؤوف، فعاد حنينها إليه، وأخذت تختلق الأعذار لرؤيته ودعوته مع عائلته لقضاء نهاية الأسبوع في بيتها، خاصة بعد أن أعجبت بابنه ماجد. أخذت ترسم الخطط لكي تتزوج إبنتها دلال من ماجد ولتصبح قريبة من رؤوف لتنعش عاطفتها القديمة حياله.

لكن السحر انقلب على الساحر، فدلال كانت تعتبر ماجد صديقاً، دون أن تفكر لحظة في الزواج منه، لأن قلبها كان يميل لشاب يدعى داوود، رأته لأول مرة في إحدى حفلات والدها، لأنه كان من معارفه ومن رجال الأعمال.

كان داوود يمر بأزمة عاطفية، ولم يشعر لا بدلال ولا بعاطفتها حياله، لخيبة أمله وكرهه للنساء، لأن الفتاة فاتن التي خطبها وكان يكن لها عاطفة جياشة، غدرت به في آخر لحظة وفرت مع مليونير وتزوجته.

عادت فاتن بعد خمس سنوات لتعيد وصل ما انقطع بينها وبين داوود، بعد أن أذلها ذلك المليونير. لكن



الجرح في قلب داوود كان لا يزال ينزف، فطردها وقلب لها ظهر المجن، رغم محاولاتها المتكررة.

وأخيراً، كيف ستنتهي أحداث هذه الرواية؟ وكيف ستكون النتائج سلبية أم إيجابية بالنسبة للأبطال.... وهل ستجري الرياح كما تشتهي السفن؟...

هيا معاً نقرأ فصولها ووقائعها المشوقة لنستخلص العبرة من الحياة، ولنرى ماذا يخبىء القدر في صفحاته من لوعة للقلوب وحسره للمحبين وسعادة لمن نالوا مرادهم بعد طول عذاب.

الناشر

# الفصل الأول

وضعت رباب الرسالة التي كانت تقرأها ونظرت عبر طاولة الإفطار نحو زوجها، الذي كان مختفياً خلف جريدته. ترددت، ثم قالت: «وصلت رسالة من الوالدة هذا الصباح. إنها تقترح بأن نمضي فترة العيد معهم، وأن دلال وأنا نبقى لعدة أسابيع. فما رأيك؟».

«ساكون في باريس على العيد. أريد أن أرى باسم حول التعاقد الجديد. أعتقد أنني ذكرت ذلك لك».

«لا».

«اعتقدت بأنك ستأتين، أيضاً».

«هل أنت بحاجة لي؟».

وضع جريدته وتأمل. «ليس إذا كنت ستذهبين سريعاً إلى بيت والدتك. زوجة السيد باسم ستفرح لرؤيتك ثانية، بالطبع، وهما سيجدان بعض الترفيه والتسلية في المساء إذا كنت هناك، لكنها رحلة عمل صافية أريد تسويته».

«كالعادة»، قالت رباب بلطف.

«حسناً، بصراحة، يا عزيزتي، إنني سأشعر بالضجر عند والدتك، وأنت تعلمين ذلك. لكن خذي دلال على كل حال، إذا أحببت. عليكما أن تعودا يوم الأربعاء القادم لحفلة عشاء المعهد».



«نعم، أعرف».

عينا جلال، اللتين عادتا إلى الجريدة، نظرتا إليها كأن شيئاً ما في صوتها لفت انتباهه.

«إنك لا تبدين متلهفة تماماً. ما القضية، يا رباب؟ هل أنت على ما يرام؟»

«تعبة قليلاً. تلك الأنفلونزا أنهكتني. إنني سأكون مسرورة لمدة أسبوع عند الوالدة، وأنا أعلم بأن دلال ستفرح كثيراً لفكرة عدة أسابيع هناك. إن الإبتعاد سيفيدها. إنها ما زالت حزينة على طلال، لكل ما فعلته من خير».

تحرك جلال بضجر. لقد تأثر لأن صحة زوجته أقل من مئة بالمئة وابنته تعيسة. إنه لا يريد أن يعرف شيئاً عن مثل هذه الحالات من الضعف.

«لا خير في العيش مع الماضي. لقد مرت سنة على مقتل ذلك الشاب. إنها مأساة لنا جميعاً، لكن دلال شابة. عند الثالثة والعشرين يجب أن تتمكن من إلقاء المأساة خلفها. لا جدوى من البقاء كئيبة إلى أقصى حد».

«إنها ليست كئيبة. إنها فقط فقدت حيويتها القديمة. إن هذه الزيارة قد تكون المقوّي الذي تحتاجه».

«حسناً، رتبيها كما تشائين، طالما ستعودان في موعد حفلة العشاء. الآن يجب أن أخرج. لا تنتظريني على العشاء الليلة. إنني سأتأخر».

وقف وطبع قبلة على جبينها، ثم خرج. السيارة ستكون في انتظاره في الخارج. في خلال عشرين دقيقة سيكون في مكتبه، خلف طاولة كبيرة مليئة بأجهزة الهاتف والإتصال الداخلي، بصفته الرئيس والمدير الإداري لمجموعة الشركات التي أسسها على مدى العشرين سنة الماضية.

تنهدت رباب وهي تنظر من النافذة وتشاهد السيارة قد تحركت على طول الساحة الهادئة. إنها سيارة قوية، مستهدفة كزوجها. لقد عرفت بأنه كان حانقاً، لإزعاجه بقضايا شخصية لدى تناوله قهوة الصباح، الوقت المقدس لديه لدراسة أوراقه المالية، لكنها كانت الفرصة الوحيدة لديها. استدارت وابتسمت عندما دخلت دلال، متأثرة من جديد، كما كانت مؤخراً، بشحوب ابنتها.

«أهلاً، يا عزيزتي، لقد بدأت يومك باكراً. السيدة وفاء قالت أنك خرجت».

«نعم. لقد كان صباحاً جميلاً بحيث أخذت ماندي إلى الحديقة. لقد تناولت بعض التوست قبل ذهابي».

«كيف تودين قضاء عدة أسابيع عند الجدة؟ الجدة تريدنا أن نذهب عندها في العيد. يجب أن أعود بعد العيد، لكنك يمكنك البقاء».

«هذا ما أتمناه»، قالت دلال وقد أضاء وجهها.

شعرت دلال بعقدة الذنب التي تهاجمها دائماً لدى اشتياق ابنتها للهرب عند جديها. وقالت برشاقة: «حسناً.



سأكتب لها اليوم. إن والدك لن يأتي معنا. إنه سيسافر إلى باريس في رحلة عمل. إن عدة أسابيع في الريف ستفيدك. ونظراً لأن طلال قد مات، فإنك أصبحت تشعرين بالوحدة كثيراً، يا عزيزتي. إن عملك كسكرتيرة عند الدكتور جمال لم يكن العمل الذي يفرحك، أيضاً. يجب أن أقول بأنني سعيدة لأنه تقاعد، لأنني لا أعتقد بأنك ستتركينه بطريقة أخرى».

«لقد كان عملاً نافعاً».

«لكنه موحش جداً. يجب أن تختلطي بالكثيرين من الناس».

«وهو ناجح اجتماعياً. مسكينة يا أماه. إنني لم أكن مرشحة طيبة للوقوف إلى جانبك، أليس كذلك؟ لقد تخلى عني والدي منذ أجيال. لكن لا تقلقي عليّ، يا أماه. سأعالج الأمور بنفسي. هل تريدين أن أرتب الزهور اليوم؟»

«نعم، يا عزيزتي، أريدك أن تفعلي. إنك ترتبينهم بشكل جميل. هناك حوالي ثلاثون شخصاً سيحضرون غداً. من الأفضل أن أتحقق ثانية مع متعهدي المؤن هذا الصباح».

«شكراً لأن والدي لم يعد يلاحظ أو يهتم إذا كنت موجودة في هذه المناسبات أم لا. هل أنت حقاً تستمتعين بهذا النوع من الحياة، يا أماه؟ يبدو أن هذا البيت ليس ملكاً لنا».

«بالطبع. إنني أستمتع بها»، قالت رباب بحزم، ثم أضافت، «إنه واجبي حيال والدك، على أي حال».

هناك خلف البيت، مجموعات من النرجس والتوليب موضوعة في أوعية من الماء البارد. جمعت دلال مزهرياتها على المقعد وقطفت غصناً من براعم الصفصاف. لو أنها تستطيع التحدث إلى والدتها، وتشرح لها كيف أن حياتها تبدو فارغة ولا معنى لها منذ قتل شقيقها في حادث سيارة. لقد كان طلال هو الذي جعل حياتها سعيدة بالرغم من المحيط الذي شعرت أنها فيه غريبة، لأنه كان يشاركها مشاعرها وذوقها إلى درجة مذهلة. يفارق سنة واحدة فقط في عمرها، لم تكن هناك حواجز للتفاهم بينهما. ربما كانا قريبين لأنهما شعرا بالفارق بينهما وبين والديهما. والدهما كان دائماً بعيد المنال، غارقاً في عمله، غريب تقريباً، يسجل مشاعر طفيفة نحوهما سوى خيبة أمل باردة عندما لم يظهر طلال رغبة في الأعمال واختار الطب وعندما ابنته أثبتت منحى إجتماعياً مظلماً.

دفنت دلال أنفها في النرجس. الربيع جميل هناك، فجدها يفهمها جيداً، وجدتها تسيطر على البيت القرميدي بغريزة مرحة، ثابتة، في حياة استرخاء دافئة. هذه الفكرة رفعت من معنوياتها الآن وهي تقوم بترتيب الزهور.

في الأمسية التالية، اكتشفت دلال أن وجود المزهرية في زاوية الصالون بين البيانو والحائط، والإزدحام



الصاخب للحاضرين، لا جدوى منها، لأن الأزهار ستذبل وتموت في الجو العابق بالدخان. وفيما كانت تفكر في نقلها، وتحاول تلافي انسكاب شرابها على ثوبها، تلقت صدمة قوية من كوع شاب.

في المقدمة وقليلاً إلى يسارها كان رجل طويل، عريض المنكبين، يقف عند منتصف الغرفة، وملامحه تدل على أنه وجد هذا الجمع الإجتماعي ليس مغرياً. كان وجهه متجهماً، وثيابه ناعمة لا عيب فيها. السن، حوالي الخامسة والثلاثين. كان يحمل في يده كأساً من العصير. هل هو مدير تنفيذي في مجموعة والدها، أو سياسي، أو عالم، أو محامي؟ إنه قد يكون واحداً من هؤلاء، لكن شيئاً ما في تحفظه أفسح مجالاً للشكوك.

رأت والدها يجول بين الحاضرين مع رجل أشقر. تقدم نحو الرجل الغريب وقال: «أهلاً، يا داوود. إنني مسرور لأنك تمكنت من الحضور. أود أن أقدم لك السيد جميل. السيد داوود. السيد جميل معماري مشهور. إنه يريد التعرف على مهندس جيد. هل هناك حاجة لقول المزيد؟»

وعندما غرق والدها ثانية بين الحاضرين، حاولت دلال أن تخرج من زاويتها، لكنها وجدت طريقها مسدوداً بواسطة رجلين وامرأة والذين بدا بوضوح أنهم لم يسمعوها عندما قالت بصوت ناعم «إسمحوا لي»، والذين كانوا منهمكين في الحديث عن البورصة والأسهم. تراجعت

ثانية إلى زاويتها وجلست على كرسي البيانو. كان داوود الآن في مواجهتها تقريباً ويضحك بطريقة متعجرفة. لقد بالغت في تقدير سنه ببضع سنوات، اعتقدت. وجهه لم يكن جميلاً، لكنه لم يكن من النوع الذي يمكن تجاهله.

«حفلات الكوكتيل هي من النوع الذي أتجنبه قدر الإمكان»، قال بصوت عميق جذاب. «إنني في الحقيقة أقوم مقام رئيسي، الذي سيتقاعد الشهر القادم، والذي لا يميل للحضور».

«هكذا أخبرني لبيب. إنك ستتولى العمل بعدما يتقاعد السيد بلال، على ما أعتقد».

«نعم. وسأنتقل من لندن إلى مدينة أخرى».

«حسناً، دعني أحصل على عنوانك الجديد حالما تنتقل، هل تسمح؟ ها هو عنواني. يا إلهي، ما هذا الحشد! أريد ملاحقة النادل من أجل كأس ثانية. هل أحضر لك كأساً؟»

«لا، شكراً. سأذهب الآن».

راقبت دلال داوود يشق طريقه عبر الغرفة إلى والدتها بسهولة مدهشة ويغادر. التقى والدها عند الباب وقال بضع كلمات له، ثم اختفى. لماذا لا تشق هي طريقها هكذا؟ إن باستطاعتها التسلل بسهولة. إنه مخرج جميل، لم تعتد عليه. لقد تعجبت أين ستكون مكاتبه في المدينة الأخرى. إنها تعتقد أنه سينتقل إلى أوكسفورد. إنها تعرفها جيداً،



وهي لا تبعد سوى عشرة أميال عن بيت جديها، وهي أقرب مدينة لهما.

تهيجت فجأة بسبب الضجيج والجو العابق بالدخان فتسللت نحو الباب وهربت.

زخة من المطر أنعشت الجو في الساحة. المصابيح تعكس أنوارها على الرصيف الرطب، ونقاط المطر تلمع على الأغصان العارية للأشجار وسط الساحة. كانت هناك فقط شجرة لوز صغيرة مزهرة، وشبح صغير باهت بين الأشجار. شبح طلال كان هناك، أيضاً. كم مرة دارا حول الساحة ليلاً، وهما يتحدثان ويضحكان حول أحداث وسخافات اليوم. حولت دلال أفكارها إلى الأسابيع الثلاثة التي ستقضيها عند جدتها في الربيع.

لم يكن هناك شيء غريب بالنسبة للبلدة. البيت بسيط ومن القرميد الأحمر، طابقه العلوي معلق، بشكل مستطيل، بأهداب عميقة ومدخل، لكن كلما عادت دلال إليه، اعتقدت إنه أجمل بيت رأته في حياتها.

في ذلك الصباح من شهر نيسان، عندما فتحت الباب لوالدتها، كانت الحديقة مليئة بالألوان والعطور، وأزهار تتسلق الجدران، وأزهار أذن الفأر (المعروفة بزهرة لا تنساني)، والنرجس، وشفة الثور العطرية، كلها تتدافع على بعضها في فوضى، وفتحت قلبها لها كلها بالفرحة القديمة التي غابت طويلاً.

لقد حضرتا بالسيارة ووصلتا قبل الوقت المتوقع، لكنهما قبل أن يقرعا الباب، فُتح، والوجه البشوش للجدة يرحب بهما، وزوجها خلفها.

«لقد وصلنا باكراً، يا أماه»، قالت رباب. «لقد جئنا بطريقة جديدة، كانت أسرع. لقد تجنبنا الطرقات الرئيسية».

«جميل أن أراكما. إنك تبدين شاحبة، يا دلال. لقد حان الوقت لتستنشقي هواء الريف».

«إنني أعلم، يا جدتي»، قالت دلال، وهي تعانق جدتها قبل أن تتحول إلى جدها الذي طوقها بذراعيه وهو يتأملها بابتسامة غامضة ويقول:

«حسناً، يا زهرتي، إننا لن ندخلك بسرعة هذه المرة. تعالا إلى المطبخ واشربا القهوة قبل أن تأخذا أمتعتكما إلى فوق. لقد أعددتها لتوي».

«لم يتغير شيء هنا»، قالت دلال، وهي تتلفت حولها وتجلس على الكرسي الخشبي الهزاز قرب المدفأة. «هذا ما أسميه مطبخاً منزلياً حقيقياً».

«إن جدتك تتمسك بأدوات المطبخ الحديث، لكونها إبنة مزارع»، قال جدي سليم. «لا عجب إذا اعتقد والدك بأننا متخلفون. فلا غسّالة، ولا ثلاجة، ولا جلّاية، ولا أطعمة مجلّدة. نحن من البرابرة».

«لكن جلال يعترف بأنه ليس هناك أشهى من الخبز الذي تصنعه الوالدة في البيت»، قالت رباب.



«وكيف حال جلال؟» سألت الجدة لمياء بصوت مؤدب تحتفظ به دائماً لصهرها.

«إنه بصحة جيدة. كيف يماشي خطوة حياته، لست أدري. لكنه يبدو أنه يكافح من أجل ذلك».

«على فكرة، يا رباب، إن عائلة أدهم قد عادت إلى هنا بعد كل تلك السنوات»، قالت الجدة لمياء.

لاحظت دلال نظرة غريبة على وجه والدتها، كأنها أحست بالألم فجأة. لكن التعبير مر بسرعة جعلت دلال تقرر أنها كانت خدعة ضوئية.

«هل عادت؟ متى علمت بذلك؟» سألت رباب.

«منذ حوالي شهر.».

«هل رأيتهم؟ كم عددهم؟ إنني أعلم بأن لدى رؤوف إبناً واحداً».

«هذا كل شيء. لقد اشتروا ما كان يسمى بمزرعة دواجن فريد وقد حولوها إلى مشتل، ورؤوف يميل للعودة إلى هنا إلى مشتلهم المتوقف».

«إن ابنه قد تخصص في البستنة، أيضاً؟»

«نعم. إن ماجد مثل رؤوف عندما عرفناه لأول مرة».

«وزوجته؟».

«تبدو إمرأة طيبة جداً. لقد قابلتهم في القرية ذات يوم سبت وقد عرفته على الفور، رغم مرور أكثر من خمس وعشرين سنة على رؤيتي له لآخر مرة. لقد عرفت أنه عاد واشترى مزرعة فريد، بالطبع».

«إن الكرمة المحلية نشيطة كعادتها»، قال الجد سليم. «أعتقد أن رؤوف سيقوم بعمل جيد هنا. يمكننا أن نعمل مع مشتل بالجوار».

«إنك ستكون زبوناً جيداً، بلا شك، يا والدي. كيف تسير الأمور بالنسبة للبستان الذي تخطط له على العيد؟» سألت رباب.

«وا أسفاه، لقد أصبح المشروع مهجوراً. إن والدتك تعتقد أنه تعهد شاق ومضني، وكما تعلمين فإن الكلمة الأخيرة هي لها دائماً»، قال سليم، بسخرية لطيفة مألوفة لدى عائلته.

«حسناً، إن المرء يجب أن يكون عملياً»، قالت لمياء بهدوء. «والآن أعتقد أن الوقت قد حان لترتيب أمتعتكما، يا عزيزتاي».

«سآخذ الشنط إلى فوق»، قال سليم.

عندما دخلت دلال بعد قليل إلى غرفة والدتها لتطلب علاّقة معطف إضافية، وجدتها جالسة عند النافذة تحدّق في الحديقة وملامح تعيسة على وجهها. من الواضح أنها لم تسمع طرقة دلال.

«ما الأمر، يا أماه؟»

«الأمر؟» سألت رباب، وهي تستدير بسرعة. «لا شيء، يا عزيزتي».

«إنك تبدين كأن شيئاً ما قد حدث».



«إنها فقط العودة إلى القرية. الحنين إلى الحياة القديمة البسيطة، ربما. والآن، يا عزيزتي، ماذا ستفعلين قبل الغداء؟»

«إذا كانت الجدة ليس لديها عملاً مفيداً لي، فقد فكرت في القيام بجولة في الحديقة مع جدي، إذا لم يكن مشغولاً، ومن ثم السير عبر المرج لرؤية رشيد».

ابتسمت رباب لنكتة العائلة. إن أعمال والدتها المفيدة قد راوغتهم طول السنين.

«حسناً، بلّغي رشيد تحياتي. إنني متأكدة أن جدك يحلّق في زاوية هادئة بعيداً عن الأعمال الصغيرة، بانتظارك».

كانت والدتها على حق، فعندما كانت دلال تجتاز البيت الزجاجي، ظهر جدها خلفه. نظر إلى الجزرة في يدها وابتسم.

«إنني أرى أن التقليد هو على وشك الملاحظة. الحديقة أولاً، ثم رشيد. جزرة؟»

«نعم جزرة. أرني كل كنوزك الجديدة».

عبرا المرجة، وصعدا عدة درجات وعلى طول الممر بين الحدود العريضة للنباتات المختلطة والشجيرات. مجموعات من التوليب والعيسلان صنعت بركاً صغيرة من الألوان بين الشجيرات والنباتات، التي بدأت تظهر

خضرتها، لكن الإستمتاع بتلك الحدود لن يطيب إلا في الصيف عندما تزدهر وتتفتح.

«أوه، ما أجمل العودة! أنت لا تعلم مدى جمال العودة!» صرخت دلال، وهي تنظر إليه، وفجأة شعرت بالدموع توخز عينيها.

«لقد كانت سنة قاسية بالنسبة لك».

أطرقت برأسها وقالت: «يجب أن أقوم بعمل ما حيال ذلك. لا أستطيع الإستمرار في البيت هكذا. لكنني لا أستطيع إيذاء الوالدة، أيضاً».

وضع يده على شعرها البني القصير. «سنتحدث في الموضوع فيما بعد. إن عملك مع الدكتور جمال قد توقف منذ بضعة أسابيع، هكذا علمت».

«نعم. لقد تقاعد. لم أبحث عن أي عمل آخر. أعتقد أن من الأفضل أن أعمل على ما أريده حقاً. لم أتمكن من الشعور بأهمية أي شيء آخر منذ أن طلال... كل شيء يبدو غير حقيقي في البيت بدونه. كمسرحية. إنني أحياناً أشعر أننا جميعاً نقوم بالأدوار».

«لا تقلقي، فهنا، ستسنح لك الفرصة للهدوء والتفكير. إسترخي فقط الآن. إذا لم يكن هناك تأخير ونتسبب بامتعاض جدتك، فإنه يجب أن نقدم احتراماتنا للسيد رشيد بدون تأخير».

خرجا من الحديقة عبر بوابة على الحدود، وعبرا الزقاق



المؤدي إلى المرجة. كان الحمار يرعى تحت شجرة قريبة. المرجة التي احتلت مكاناً دافئاً في محبتها للريف. إنها تعرف كل شجرة وشجيرة تنمو فيها على حدود السياج ومعظم الأزهار التي تتفتح بين الحشائش خلال الموسم.

«إن من المؤسف أن السيد نايف لم يعد هنا. لقد كان عجوزاً عزيزاً»، قالت، وهما يتجهان نحو رشيد.

«نعم. لقد افتقدته كثيراً منذ وفاته. رجل طبيعة جيد. لقد باع ابنه البيت، على ما أعتقد، بالرغم من أنه لم يُشغل بعد».

إستدار الحمار وأخذ يراقبهما وهما يقتربان. مد رأسه الرمادي وأطلق نهقة عندما قدمت له دلال الجزرة. عيناه الكبيرتان الداكنتان تأملتاها بحزن، وهو يقضم الجزرة، ففركت شعر رقبته بلطف.

«تبدو معجزة أن القرية بقيت بدون تلف»، قالت دلال، وهي تنظر عبر الأرض الهادئة. «لقد كنت أنا وطلال نستمتع دائماً بزياراتنا إلى هنا».

عانقت الحمار للمرة الأخيرة قبل أن يعودا. بعد ظهر ذلك اليوم، فكرت، أنها ستعبر إلى القرية التالية وتلقي نظرة على المكان طالما كان شاغراً. ربما لن تسنح لها الفرصة ثانية، وفي نفس الوقت فإنها قد تبدو بمثابة تقديم الإحترامات للرجل العجوز الذي عاش هناك والذي كان لطيفاً معها.

عدة أشياء كانت كئيبة، اعتقدت دلال، عدا عن الحديقة التي كانت مهملة لفترة طويلة. كافحت عبر الشجيرات النامية، التي خدشتها أشجار الورود المتسلقة والتي تطل الآن عبر الزجاج الوسخ للنوافذ وإلى داخل غرفة الجلوس بمدفأتها الحجرية. لقد كان من الخطأ العودة، اعتقدت. لقد كان من الأفضل حفظ ذكرياتها لهذه القرية بين حناياها. هذا البيت الفارع والحديقة المفرطة النمو كانا مهجورين كمطر تشرين الثاني. استدارت بعيداً، وخلصت بجلدها تقريباً عندما رأت رجلاً يقف على الفيراندا على بعد خطوات، الغليون في يده، يحدق بها بهدوء.

«يا إلهي، لقد أرعبتني!» قالت. «من أين جئت؟»

«ربما تشبعين فضولي أولاً. لقد اشتريت هذا البيت. خلال الأسبوع الماضي شخص ما زار الحديقة وحمل المزولة. إنني أهتم بمعرفة المتطفلين. ما زال هناك شيء أو اثنان موجودين هنا ويثيران الإغراء».

احمر وجهها من لهجته الساخرة وقالت بمزيد من الكبرياء قدر ما تستطيع: «إنني أعرف المالك السابق. لقد كان صديقاً قديماً لي، وأعرف البيت والحديقة جيداً. أريد أن ألقي نظرة أخيرة على المكان. آسفة لأنك فقدت المزولة. لقد لاحظت فقدانها من المرجة».

«هل تقيمين في مكان قريب من هنا؟»



«لا. جداي يقيمان هنا. إنني سأقيم معهما لعدة أسابيع». ترددت، ثم أردفت تقول: «أنت لا تعرفني، يا سيد داوود، لكنك كنت في حفلة الكوكتيل التي أقيمت في منزل والدي منذ عدة أسابيع. أنا دلال».

«أنا آسف لأنني لا أتذكرك، لكنه كان تصادماً مخيفاً. هل والدك هنا، أيضاً؟»

«لا إنه في باريس. في رحلة عمل. والدتي هنا، لكنها ستعود بعد العيد مباشرة».

«لقد راقبتك وأنت تدخلين الحديقة. لم أكن أعلم بأن هناك مدخلاً من تلك الناحية».

«هناك جذع شجرة بمثابة جسر عبر الجدول. من الأفضل أن ترفعه إذا أردت الحفاظ على قلعتك محصنة، يا سيد داوود».

«سأضع هذا في ذهني»، قال بدون تأثر. «إذا رافقتك عند الخروج الآن، يمكنك أن تريني إياه».

كان دمث الأخلاق كالريح الشرقية، اعتقدت، وهي تشعر كطفلة سيئة السلوك وهو يرافقها عبر المرجة. توقف مرة لينفض غليونه على حذائه البني المصقول.

«إنني لا أريد أن أغصبك على أخذ طريقك عبر شجيرات الحديقة، يا سيد داوود. إنه كالدغل. أعدك بأن لا أدوس على أملاكك، واسمح لي أن أقترح عليك، بأن كلب حراسة وحشي الشكل قد يساعدك. هذه القرية

صغيرة ومألوفة. إنها ليست مثل لندن، كما تعلم. الناس في الريف يميلون لمعرفة بعضهم بعضاً».

«لقد أمضيت معظم حياتي في الريف».

«حقاً؟ حسناً إذن، أنت تعرف ما عليك أن تواجه».

«تماماً».

«هل تحب الريف؟»

«كثيراً. لقد اخترت شراء بيت هنا».

إن صعوبة المرور عبر الشجيرات أفسحت المجال لإطالة الحديث حتى خرجا إلى الأرض العراء التي تنحدر نحو الجدول.

«تلك هي القرية التي يقع فيها بيت جدي. يمكنك رؤية السقف من فوق الأشجار. إنه يعيش هناك منذ أربعين سنة. أما عائلة جدتي فقد عاشت فيها لأجيال»، قالت دلال.

«وأنت تقضين عطلتك المدرسية مع جديك، على ما أعتقد».

نظرت إليه بريبة. «هل أنت حقاً تعتقد أنني ما زلت في المدرسة؟ إنني في الثالثة والعشرين، وأقوم بتحصيل قوتي منذ خمس سنوات».

«إنه سن النضوج حقاً»، قال بأسى. «فقط الأصغر، يعارضون اعتقادهم بأن أصغر من ذلك. لقد كانت طريقتك وليس مظهرك هي التي جعلتني أحذف بضع سنوات».



كانت هناك فترة صمت. ثم قالت دلال: «إن المقصود بذلك لسعة، أليس كذلك؟»

«وهل لسعتك؟»

«نعم».

«أنت التي سعيت وراء ذلك. أنت التي تعديت على أملاكي، ولم تقدمي اعتذاراً، وتدعين الخجل ولا تنشدين النصح. ربما تعتقدين أن ابنة جلال لديها ترخيص خاص».

احمرت خدا دلال الآن وهي تنشد تبريراً. فشلت، كعادتها، لأنها لم تكن تملك ذلك اللسان الذي يساعدها على مواجهة التسلط، وإن عليها أن تعترف بأن لديها سبباً ما للتذمر، لكن الإتهام باستخدام اسم والدها كدرع كان عليها أن ترفضه. تمنت الآن لو لم تذكر اسمها.

«إن والدي لا دخل له في الموضوع. إن عليّ أن أعترف بأن لساني لا يطاوعني عند اللزوم»، أنهت كلامها وهي تلوي بوزها.

واقفة على الجذع، أصبحت في مستواه، وواجها بعضهما لحظة، وقد بدا الغضب واضحاً على وجهه.

تمالكت أعصابها، وألقت إليه بابتسامة خجولة، غريبة وسارت على الجذع دون أن تقول كلمة أخرى. من المؤسف أن هذه القرية قد تم شراؤها بواسطة رجل غير

مألوف مثل داوود، لكن ليست هناك عاقبة حقاً. إن طريقهما نادراً ما تتقاطعان.

كانت رباب تتمشى في الحديقة صبيحة يوم العيد، فوجدت دلال تقطف الزهور في الحديقة. جلست على المقعد الخشبي تحت شجرة الكرز وراقبتها.

«عندما كنت طفلة، كنت أذهب أنا ووالدتي كل سنة لقطف الزهور. كنا نأخذ سلة كبيرة ولا نعود إلى البيت حتى تمتلىء. إنني أستطيع أن أتذكر كيف كان يؤلمني ظهري. كان ذلك عادةً في شهر أيار. هذه زهور مبكرة»، قالت رباب.

«لا أستطيع أن أتخيلك طفلة ريفية، يا أماه»، قالت دلال، وهي تنظر إلى قوام والدتها النحيل، وهي ترتدي بذلة زرقاء فاتحة.

«لقد كنت سعيدة بما فيه الكفاية، لكن من المؤسف، ربما، أنني كنت الطفلة الوحيدة»، قالت رباب.

وفيما كانت دلال تتجول سعياً وراء المزيد من الأزهار، نظرت رباب إليها والألم في عينيها. بيأس، حسدت ابنتها على شبابها. آه لو أنها تستطيع فقط أن تصبح في عمر دلال من جديد! لو تسنح لها الفرصة للخيار بين جلال ورؤوف! صدمتها هذه الفكرة بوجودها. إن شيئاً ما قد حدث لها في السنة الماضية، منذ وفاة طلال. حتى ذلك الحين، بدا زواجها مرضياً. زوجها ناجح، وقد لعبت



دورها الصغير بنجاح. لكن مؤخراً بدت الحياة التي تقودها باردة، ولا معنى لها. إخلاصها تجاه جلال، وفرحتها المبكرة في نجاحه، قد فصلاها إلى حد كبير عن ولديها. لقد كبرا في خلفية حياتها الترفيهية الزاخرة ورغبتها في أن يرفّه عنها. وذات يوم وجدت أن ولديها قد أصبحا شاباً وشابة غريبان عنها تقريباً؛ غريبان لديهما مذاق طفيف في طريقة حياة والدهما وغير مهتمين بأمبراطورية أعماله، وهكذا أصبح لا مفر لها هي، التي أصبحت حياتها مقولبة لطريقة زوجها، أن تجد نفسها متروكة على الشاطيء الآخر مع جلال. وقد كان ذلك من صنعها.

قفزت رباب عندما جلس والدها إلى جانبها. إنها لم تسمع وقع خطواته على العشب.

«حسناً، يا عزيزتي، إنك تبدين مفكّرة»، ألمح لها.

«لقد كنت أستعيد ذكريات السنين. في سن الخمسين، إنها تميل لتكون تجربة اليقظة».

«إن نظراتك تشير إلى أن الحياة عاملتك بلطف».

«بطرق ما. ربما ليس بالطريقة التي تهم كثيراً».

«إن فقد الشاب بتلك الطريقة كان ضربة كاسحة. إن من الأفضل أن تكرسي اهتمامك لدلال لتعود إلى سابق عهدها. لقد كانت الصدمة شديدة عليها».

«نعم. لقد كانت تحبه كثيراً».

«إن لها قلباً حنوناً. عندما تعطي، فإنها تعطي إلى أقصى حد».

«نعم. تلك ستكون عقبة ف يهذا العالم».

«إنك في حالة خطيرة هذا الصباح، يا عزيزتي»، قال والدها، الذي اعتاد على طبيعة ابنته طوال السنوات الماضية. «هل هناك من خطب؟»

تنهدت رباب وقالت، بابتسامة طفيفة: «فقط ربيع في الجو. وأشباح. الخمسون هي نوع من الحد الفاصل في السن. إنك تستعيد شبابك، وتخاف النظر إلى الجانب الآخر من سنوات العجز، وتبدأ بالتفكير بما سيكون».

«حسناً، إن والدتك تقول أن خير علاج لذلك هو أن تظلي مشغولة. لقد جئت لأرى إذا كانت دلال تود الذهاب إلى مشتل عائلة أدهم معي لإحضار بعض الشتول».

«هل يمكنني المجيء، أيضاً؟ أريد رؤية رؤوف ثانية».

«معك حق. سأحضر دلال وأعود معها».

لقد كان شهر نيسان هو شهر تحطيم القلوب، اعتقدت رباب. إنه يثير أحلامها القديمة النصف منسية، ويضع خطاً تحت السنوات الضائعة، ويجعلك قلقاً وغير قانع بضآلة الحياة. فضولية، وخائفة قليلاً، تعجبت ماذا فعلت السنوات لرؤوف.



## الفصل الثاني

سارت دلال وجدها على طول صفوف الأصص الصغيرة التي تحتوي على أشتال لنباتات جبال الألب وقد تأملتها بعينين ناقدتين. الخيار كان صعباً. إنهما بحاجة فقط إلى نصف دستة من الشتول لملء الفراغ في الحديقة الصخرية، لكن دلال رأت على الأقل ضعف ذلك الرقم الذي كان لا يقاوم. وفيما كان يناقشان ماله وما عليه، سارت رباب خلفهما، وهي تتطلع حولها إلى المساكب الشاسعة والبيوت الزجاجية.

وعندما أخذوا طريقهم نحو المكتب، يحملون الأصص التي اختاروها، خرج رجل من بيت زجاجي قريب، يحمل ورقة في يده، وتسمّرت رباب في مكانها عندما قال والدها: «هذا هو رؤوف».

لم ينظر الرجل إليهم، بل صعد إلى الممر المقابل لهم، وهو يدرس الورقة. بعد كل تلك السنين، اعتقدت رباب، أنها عرفت تلك المشية والكتفين. إن جر إحدى ساقيه كان نتيجة إصابة في لعبة الكريكيت، تذكرت. لم يخفف من وزنه مع السنين؛ كان طويلاً ورفيعاً كعود اللوبياء. عندما دخلوا إلى المكتب، ووضعوا الأصص على الطاولة، خرج من غرفة داخلية وقال وهو يبتسم: «هل يمكنني أن أساعدكم؟ أوه، إنه السيد سليم. صباح الخير لكم». ثم رأى رباب، وكانت هناك فترة صمت.

«أهلاً، يا رؤوف». قالت رباب. «أعتقد أنك قد نسيتني بعد كل تلك السنين».

«لا، لم أنساك. إنه ليسعدني أن أراك بعد تلك الفترة الطويلة، يا سيدة رباب. كيف حالك؟»

السيدة رباب أصيبت بارتجاج. إذن لم ينس اسمي وأنني قد تزوجت. التقطت اليد التي مدها إليها، ورأت، بدلاً من الفتى الذي عرفته، رجلاً متوسط السن بشعر قليل الشيب، لكن العينين الزرقاوان اللتين نظرتا في عينيها كانتا نفس الشيء، واللطف كان لا يزال موجوداً في صوته.

«إنني على ما يرام، يا رؤوف، أشكرك. وهذه هي ابنتي، دلال»، قالت، وهي تجرها إلى الأمام.

«لقد عشقت كل شتول جبال الألب في مشتلك، يا سيد رؤوف. أريد شراء المجموعة كلها»، قالت دلال بابتسامة.

«إنك من النوع الذي أحبه من الزبائن. دعيني الآن أرى ما الذي اخترتيه هنا. من الأفضل أن أجد صندوقاً لها، أم تريدني يا سيد سليم أن أوصلها لك؟»

«لا، فإن سيارتي معي. هذه نهاية أسبوع عمل كثير لك».

«نعم. فلدينا نقص في اليد العاملة، أيضاً. ويسرني إعادة الأصص عند مرورك من هنا ثانية».

دفع جدها قيمة الفاتورة، وقام السيد رؤوف بوضعها في صندوق عندما دخل شاب.



«آه، هذا أنت، يا ماجد. هل يمكنك أن تنقل هذا الصندوق إلى سيارة السيد سليم؟»

«بكل تأكيد»، قال الفتى. «فقط دعني أحجز هذه الطلبية».

اختفى في الغرفة الداخلية. وعندما خرج، قدّمه والده إلى كل من رباب ودلال. عندما ابتسم إلى رباب بنفس ابتسامة والده، فإن الشبه لرؤوف الشاب الذي عرفته قد طعنها بحدة بحيث أن تدريبها الإجتماعي فقط هو الذي مكّنها من تحية الفتى بدون أي نوع من الإضطراب. لقد كانت لديه طريقة سهلة وصريحة، وعندما حمل الصندوق إلى السيارة، تحدث إلى دلال عن المشتل استجابة إلى أسئلتها. في الحفلات العملية في البيت، اعتقدت رباب عندما رنت ضحكة دلال، أن ابنتها كانت معقودة اللسان، لكنها هنا، مع المزارعين وأصحاب المحلات والجيران، كانت مهتمة وتغرّد كالطير.

عاد ماجد إلى عمله، ورباب ودلال كانتا تلقيان عليه نظرة أخيرة عند مساكب الزهور عندما شاهدتا رجلاً طويلاً، عريض المنكبين، واقفاً، طاوياً ذراعيه، غارقاً في تأمل بعض الأشجار الصنوبرية. وفيما ترددت دلال، فرباب، التي تدربت على عدم نسيان وجه أو اسم صاحبه، قالت: «أوه، هذا أنت يا سيد داوود. لقد أخبرتني دلال أنك ستأتي لتعيش في القرية القريبة. كم هو جميل أن نراك!»

قدمت رباب والدها، وتحدثا معاً لبضع لحظات. دلال بقيت صامتة، تراقب داوود. لقد وقف مسترخياً، إحدى يديه في جيب

جاكيته، فيما كانت يده الأخرى تستريح على قضيب يسند الشجرة التي خلفه. شعرت أن وجوده نوعاً من الغلاظة.

«إذن هذا هو مولاك غير المهذب، أليس كذلك يادلال؟» قال جدها، عندما ابتعدا. «يبدو مسروراً كفاية».

«إنه مهندس لامع، جلال يمتدحه كثيراً»، قالت رباب.

«ستكون تلك القرية بيتاً كبيراً لأعزب محب للعزلة»، قالت دلال، ثم أضافت بتفكير. «على الأقل، أعتقد أنه غير متزوج. إنني لا أستطيع أن أتخيله مع زوجة وأطفال».

«لماذا؟» سأل جدها. «إنه يبدو عادياً تماماً لي».

«إنه ليس من البشر أيضاً»، قالت دلال باختصار. إنها لا تستطيع إلا أن تعجب من أمره. شخصيته حيرتها وتحدتها، وأصابتها بصدمة هائلة، سواء لجهة الخير أو الشر، فإنها لا تستطيع القول.

عائدين إلى البيت، جلست رباب في المقعد الخلفي وتحدثت قليلاً. الماضي والحاضر التقيا مع الصدمة التي كانت ممزقة، وهي بحاجة إلى التقاط أنفاسها.

«لقد عرضت تقديم المساعدة لماجد ووالده في المكتب أيام السبت»، قالت دلال. «أعتقد أن ذلك سيكون نوعاً من المرح. وقد هلّل ماجد للفكرة. إنهما بحاجة إلى بعض الموظفين الآن».

«فكرة جيدة»، قال جدها. «يبدو أنك أنت والشاب ماجد قد تعارفتما بسرعة».

دلال وماجد، فكرت رباب. كم سيكون غريباً لو اجتمعت ابنتها مع ماجد. كم كان غريباً ومفرحاً أن ماجد كان بكل وضوح



عبارة عن رؤوف آخر. أي نوع أفضل من الرجال يمكنها أن تتمناه لابنتها؟ يجب على دلال أن لا تخطيء. يجب عليها أن لا تبهر بالصفات الخاطئة. وإذا تزوجت دلال من ماجد، فإن هذا الإتحاد سيجعل العائلتين تدوران في نفس المسار، ولن يغيب رؤوف من حياتها تماماً. الفطرة حذرتها بأن لا تسمح لتخيلاتها بالذهاب بعيداً، لكنها لم تستطع مقاومة العيش على الأمل لجلب الدفء إلى حياتها. ليست هناك حماقة في رغبتها لإبقاء الإتصال مع رؤوف. الماضي مات، رباب ورؤوف القديمين ماتا. لكن لو أن جمرة دفء صغيرة من الصداقة يمكن أن الرماد الميت لشبابهما بزواج ولديهما، فأي عزاء جميل سيكون ذلك!

وخلال الأشهر التالية، فيما كانت رباب تسير في حياتها اليومية كزوجة لجلال، ترفه عنه بسحرها وتوازنها المألوفين، تدير شؤون البيت بكفاءة هادئة، فإن فكرة زواج دلال من ماجد لمعت كالوميض، وأصبحت فكرة متسلطة على عقلها تقريباً.

«إنني لا أستطيع العودة إلى المدينة»، قالت دلال بهدوء. «أعود إلى ذلك البيت البارد والحياة غير المناسبة لي. هل تعتقد أن الوالدة ستتألم لو أنني أخبرتها بأنني أريد البقاء هنا، وأجد لي عملاً؟»

فركت لمياء الزبدة والدهن بالطحين بأصابع خبيرة ونظرت إلى حفيدتها، التي كانت تجلس على زاوية الطاولة وتبدو قلقة.

«حسناً، إن والدتك ستأتي في نهاية هذا الأسبوع. ليس عندنا أحب من بقائك هنا، ياعزيزتي، لكن يجب علينا معرفة شعورها حول هذا الموضوع. بعد فقد طلال...».

«أعلم. هذا هو ما يزعجني. إذا كانت الوالدة منزعجة جداً حول هذه الفكرة، فإنني سأفكر ثانية، لكنني أخاف من العودة إلى تلك الحياة الخالية من أي هدف».

«أي نوع من العمل تفكرين في البحث عنه، إذا أقمت هنا؟ ليست هناك وظائف محلية كثيرة. من الأفضل أن تذهبي إلى أوكسفورد، ما لم تنوين العمل في البستنة والإنضمام إلى ماجد ووالده»، أنهت لمياء كلامها وهي ترش الطحين على الشوبك.

«لا. سأستمر في مساعدتهما في المكتب أيام السبت طالما ظلاّ بحاجة لي. لكنني تصفحت الجريدة المحلية ورأيت وظيفة سكرتارية في أوكسفورد. هناك باص بين القرية وأوكسفورد. إنني أشعر بسعادة أكبر معك ومع جدي، لكنني أشعر بقليل من الذنب حيال ذلك وأكره أن أزعج الوالدة».

لكن، في الحقيقة، عندما حضرت رباب، وأخبرتها دلال بخططها، لم تكن هناك مشكلة بتاتاً. لقد بدت رباب أنها ترحب بالقرار.

«سيكون من الخير لك، يا عزيزتي، أن تغير المحيط. لقد فكرت بذلك لبعض الوقت. إنك تبدين بصورة أفضل وأكثر سعادة الآن من السنة الماضية».

«سأحضر إلى المدينة لرؤيتك من حين لآخر». قالت دلال، بعد أن ارتاحت كثيراً بقبول والدتها الهادىء للنبأ.

«وأنا سأحضر إلى هنا كثيراً، لإلقاء نظرة عليك. إنني أشعر بتحسن عند الإبتعاد عن المدينة. يبدو أنني قد كبرت»، قالت



رباب، التي كانت زياراتها لبيت والديها غير متكررة في الماضي، لأن وقتها كان محدوداً.

وهكذا تمت تسوية الموضوع، وفي نفس نهاية الأسبوع رأت دلال في الجريدة المحلية إعلاناً لوظيفة معقولة.

«إستمعي إلى هذا، يا أماه. «مطلوب لمؤلف كتب أطفال، سكرتيرة ذات خبرة. سرعة جيدة بالإختزال والطباعة ومعرفة جيدة باللغة الإنكليزية ضرورية». إنها تبدو هامة. لم أكن أعلم بأن هناك مؤلف في هذه المنطقة، هل هذا صحيح، يا جدتي؟»

«لم أكن أعلم».

«تغيير ممتع، كتب أطفال، بدلاً من الممارسة الطبية»، قالت رباب.

«أرجو أن لا يعني ذلك العمل أيام السبت، لأنني أريد البقاء في عمل المشتل. معظم الأعمال من هذا النوع هي لخمسة أيام فقط أسبوعياً»، قالت دلال.

عندما جاء الرد على رسالة دلال، دهشت عندما رأت العنوان على الرسالة هو للقرية المجاورة. نظرت إلى التوقيع قبل قراءة الرسالة. إنه يحمل إسم السيدة سميرة زوجة السيد داوود. إذن السيد داوود قد تزوج. كانت الرسالة مختصرة، مجرد تحديد موعد للمقابلة.

بفضول حاد، قدمت دلال نفسها يوم الجمعة عند الساعة العاشرة. فتح الباب من قبل إمرأة قوية ذات وجه بشوش وسلوك عملي. كانت ترتدي بذلة داكنة، وبلوزة حريرية بيضاء.

«تفضلي يا آنسة دلال. إن شقيقتي في غرفتها. الطريق من هنا».

كانت السيدة سميرة تشبه شقيقتها قليلاً. كانت تجلس إلى مكتب ضخم مليء بالأوراق، وتبدو نحيلة بالنسبة لشقيقتها القوية. وجهها بيضاوي شاحب. ابتسمت ابتسامة حلوة لدلال وأشارت إلى كرسي. كان صوتها عميقاً وموسيقياً. دلال التي توقعت إمرأة أكثر شباباً، جلست لتعطيها التفاصيل عن خبرتها السابقة، وفي نفس الوقت حاولت معرفة علاقة سميرة بداوود. لم تستطع أن ترى إذا كانت تضع خاتماً، لأن يديها كانت خلف المكتب، لكنها بكل تأكيد كانت كبيرة جداً لتكون زوجته، ومن المحتمل أن تكون والدته.

الأسئلة كانت ذكية ومضنية، وفي النهاية قال سميرة: «حسناً، كل شيء يبدو مرضياً. والآن من الأفضل أن أشرح لك ما يتوجب عليك عمله. نظراً لأن يداي مصابتان بداء المفاصل، فإنني أملي الكثير من أعمالي. لقد اعتدت على طباعة كتبي بنفسي، لكنني الآن أكتب بعض المقاطع وأملي الباقي. كما أن عندي قسماً كبيراً من المراسلات. وبالطبع، هناك أكوام من الكتب والأوراق يجب ترتيبها وحفظها في أضابير. سأعطيك نسخة من كتبي لتأخذيها وتقرئينها لمعرفة نوع ما أكتب. أعتقد أن العمل سيروق لك؟ إنها وظيفة منعزلة لشابة مثلك. لكن الساعات لن تكون طويلة، وبما أنك تقيمين قريباً فإنها ستكون مريحة لك تماماً».

«أعتقد أن الوظيفة تروق لي كثيراً. إنني أفضل المحاولة، على كل حال».



«حسناً. والآن بالنسبة لراتبك. نحن لم نذكر ذلك. ليس عملياً لك أن تحاولي بدون معرفة الراتب. أعتقد أن نوع العمل الذي ستقومين به يعني لك أكثر من المال».

«نعم».

«حسناً»، قالت سميرة بابتسامة، «إنني لن أستفيد من تلك الحقيقة».

في الحقيقة، كانت شروطها كريمة، ووافقت دلال بفرح وقالت أن باستطاعتها أن تبدأ العمل بأسرع ما تدعو الحاجة.

«الأثنين القادم، إذن»، قالت سميرة. «إنني منهمكة جداً بعملي وقد انتقلنا لتونا من المدينة».

«ربما يجب عليّ أن أذكر أنني أعرف السيد داوود. لقد قابلته في حفلة كوكتيل أقامها والدي. إنها مسألة أعمال. وقد التقيته مرة أو مرتين منذ أن انتقل إلى هنا. لكنني أعتقد أنه ذكر لك ذلك إذا عرف أنني تقدمت للوظيفة».

«لا، إنه لا يعرف. في الحقيقة، لقد سافر إلى الشمال في رحلة عمل هذا الأسبوع. سيعود غداً. إن حفيدي هو رجل أعمال. والآن قد اشترى بيتاً وأرضاً ليعتني بهما، وهو لا يزال مشغولاً».

«إنني أعرف هذه القرية جيداً. المالك السابق للبيت كان صديقاً قديماً».

«إنه بيت جميل. لقد تعودت عليه. هناك نقطة واحدة أريد توضيحها. أنا وشقيقتي سنبقى هنا لسنة واحدة فقط. لا أريد أن

أدخل في شرح الأسباب، لكننا في خلال سنة سننتقل إلى المدينة».

«وحفيدك، أيضاً؟»

«أوه، لا. لقد اشترى هذا البيت كمقر دائم. هل ما زلت تريدين الوظيفة. بعد أن عرفت أنها ستدوم لسنة، إلا، عندما يحين الوقت، تكونين قد اخترت الحضور إلى المدينة، أيضاً؟»

«سأكون سعيدة للعمل هنا لمدة سنة. لا أعتقد انني أستطيع التطلع إلى أبعد من ذلك».

عند شرب القهوة في غرفة الجلوس مع الشقيقة، علمت دلال المزيد عن الشقيقتين، لأن جمانة لسانها منطلق.

«لقد تقاعدت من الخدمة المدنية»، قالت لها. «تشاركت مع سميرة في شقة. لقد استطعنا شراء بيت صغير جميل في غربي البلاد. لكن، بدون سابق إنذار. تأجل إخلاؤه لمدة سنة. وهكذا تركنا شقتنا، بدون أن نحصل على بيت. إن حفيدنا اشترى هذا البيت وقدمه بيتاً لنا لمدة سنة».

«حسناً، هناك وقت كاف»، قالت دلال وهي تتقبل البسكويت.

«نعم. إنه يريد زوجين للعيش فيه وتدبير أموره والإعتناء بالحديقة بعد ذهابنا، بالطبع، لكنني سأدبر أمور البيت بمساعدة إمرأة على أساس يومي لمدة سنة، وقد وجد بستانياً من القرية، وهكذا فإن الأمور تسير على مايرام. إننا نريد من داوود أن يتزوج، بالطبع. هذا البيت هو بيت عائلة. إنه كبير جداً بالنسبة لعازب.»



في الوقت الذي غادرت فيه دلال كانت قد علمت الكثير عن هذه العائلة. وفيما كانت تسير على طول الزقاق فتحت الكتاب الذي أعطتها إياه، والذي كان عن مغامرات ثلاثة سناجب. الكتابة كانت بسيطة لكنها مثيرة للذكريات، والوصف والحياة للسناجب حقيقية وتكفي لعدم الإضرار بالحيوانات الطبيعية، وسحرها لطيف بحيث يأسر القارىء في الصفحات. قرأت دلال بسعادة، وشعرت بأن القدر لا يستطيع أن يمنحها مركزاً أفضل من المركز الذي كانت على وشك أن تحتله.

«مساء الخير»، قالت دلال وهي تدخل إلى غرفة الطعام وتجد داوود واقفاً يصب كأساً من الشراب. كان قد مضى على عملها مع سميرة شهر واحد، لكن هذه هي المقابلة الأولى مع داوود منذ بدأت بالعمل.

«أوه، أهلاً. تعملين متأخرة؟»

«نعم. إن سميرة تريد أن تملي الفصل الأخير لكتابها قبل أن تذهب إلى المدينة في نهاية الأسبوع. لقد جئت لأرى إذا كانت السيدة بثينة قد وصلت. إننا لم نسمعها. من المفروض أن تكون قد حضرت لتطهي العشاء هذا المساء».

«لا، السيدة بثينة لم تحضر وليس هناك ما يدل على وجود عشاء»، قال داوود بهدوء.

«أوه، يا إلهي. لقد عدت باكراً إلى البيت، أليس كذلك؟»

«نعم. لقد كان الهاتف مزعجاً بعد الظهر بحيث أنني أحضرت بعض العمل إلى البيت لإنجازه بسلام».

في تلك اللحظة سمع صوت جرس الباب الجانبي، وذهب ليفتح الباب. عاد ونظرة خيبة الأمل بادية على وجهه.

«إنه أصغر أبناء السيدة بثينة. يقول أن والدته آسفة لأنها أصيبت بألم في رأسها ولا تستطيع الحضور هذا المساء. هل تأخذين شراباً ونحن نفكر في الوضع؟»

«أشكرك».

«يبدو»، قال وهو يناولها كأس الشراب، «أن هناك ثلاث وجبات مفتوحة لنا. أما أن نبقى بدون عشاء، أو آخذك مع سميرة لتناول العشاء في أوكسفورد. أعتقد أن لا أحد منا يرفض العرض الأخير».

«لا نستطيع»، قالت دلال بحزم. «تبدو أنها ستكون جلسة متأخرة. أعتقد أن جمانة قالت أنها تركت قطعة ستيك لهذه الليلة. إنني أستطيع أن أطهيها مع قليل من البطاطا في وقت قصير. وأنا أعلم أن سميرة لن تغادر طاولة مكتبها هذا المساء. إنها ستتناول عشاءها على صينية هناك. إنها لا تريد مقاطعة في هذه المرحلة».

«حسناً»، قال وهو ينظر إليها بعينيه الداكنتين. «دعينا نرى أي طاهية أنت. عندي تقارير ممتازة عن قدراتك السكرتارية».

«كيف تحب الستيك؟»

«وسط، من فضلك. سأقابل سميرة لأرى إذا بالإمكان إقناعها لتغادر برجها العاجي وتنضم إلينا».

لقد عاد برسالة أن عمته سميرة تفضل تناول جبنة وبسكويت وكأساً من الحليب على صينية.



«إنها تقول بأنها تشكرك كثيراً على الحضور لنجدتها، وأن عليك البقاء وتناول عشاءك هنا. إنها تكتب النصف الأول للفصل الأخير بخط يدها، ويمكنك طبعه يوم الأثنين، وهي تريد فقط أن تملي عليك النصف الأخير الليلة. يا إلهي، لو أنني عاملت سكرتيرتي بهذه الطريقة، لهربت. ثانية واحدة بعد الخامسة والنصف، ويصبح مكتبي مهجوراً».

«هذا النوع من العمل مختلف. أستطيع أن أفهم جيداً أنك عندما تكون على وشك إنهاء كتاب، فإن الدافع لإنهائه بدون راحة يكون غامراً»، قالت دلال، وهي تحرك البندورة تحت الشواية وتضعهم في الفرن لتظل ساخنة حتى يتم طهي الستيك.

«أنت تعملين كخبيرة. إنك مليئة بالمفاجآت، أليس كذلك؟» قال داوود.

«لماذا تفاجأ لأنني أستطيع القيام بقليل من الطهي البسيط؟»

«إن خلفيتك البيتية لا تدل على ذلك».

«لكنني لا أليق لخلفيتي البيتية. لو أنك قابلت جدتي، لعرفت لماذا أستطيع القيام بالطهي».

ربطت مريولاً كبيراً لجمانة فوق ثوبها الأصفر، وعندما انحنت فوق الشواية ضربت أشعة شمس المغيب عبر نافذة المطبخ على شعرها البني البراق. أخذ يراقبها وهي تضيف الحليب والزبدة، والكريم. نظرت، فرأته يتأملها فاحمرت خداها قليلاً.

كانت الساعة تشير إلى العاشرة ليلاً عندما أملت سميرة الجملة الأخيرة من كتابها. اتكأت دلال في كرسيها وأرخت أصابعها

عندما قالت سميرة: «هذا هو أفضل ما أستطيع القيام به. أنا آسفة لتأخرك. يا عزيزتي».

كان داوود خارجاً من غرفته عندما كانت تغادر.

«هل حضرت على الدراجة أم سيراً على الأقدام اليوم؟» سألها.

«لقد جئت سيراً على الأقدام».

«إذن سآخذك بالسيارة».

«أشكرك. هذا لطف منك. لكنك إذا كنت مشغولاً، فإنه لا مانع عندي من السير».

«الليلة مظلمة وموحشة على طول الزقاق بين هذا البيت والقرية. سأحضر السيارة».

كانت ليلة صيفية لطيفة، السماء بدون قمر لكنها مليئة بالنجوم. جلست إلى جانبه وهو يقود السيارة عبر الزقاق. قاد السيارة بسهولة. عندما تحدث، قفزت من جلدها.

«هل كنت ستسيرين على طول الزقاق أم عبر الريف؟»

بعد فترة صمت، قالت: «على طول الزقاق».

«لقد اعتقدت ذلك. تلك الأحجار ستكون خداعة في الظلام».

«هل سترفع تلك الحجارة؟»

«لا. لا أعتقد ذلك. إنها غير واضحة تماماً. أشك إذا كان هناك أحد غيرك يستعملها».

«إنها مسيرة جيدة عندما يكون الطقس جيداً»، قالت دلال.



«تماماً». خرج من القرية واستدار نحوها، وأمسك ذقنها وأدار وجهها لينظر إليه. «تبدين عصبية؟»

«لا أعتقد ذلك حقاً،» قالت له.

«إن جديك سيأخذان نظرة قاتمة عن العمل الذي يبقيك متأخرة هكذا».

«ألا تريد الدخول لرؤيتهما؟»

«أشكرك. لكن لا. إن لدي بعض العمل يجب إنجازه».

راقبت سيارته وهي تختفي عبر الزقاق، وبقيت متكئة على البوابة الأمامية، غير راغبة في الدخول حتى تسيطر على أفكارها. لقد كان لطفاً من داوود، أن يترك عمله بدون إنجاز ليحضرها إلى بيتها.

صعدت ببطء عبر الممر. أزهار الياسمين البري ملأت جو الليل بعطرها، والورد الذي تسلق عبرها حمل أزهاره البيضاء. داعبت إحدى الزهرات بيدها وهي تمر، كأنها تختبر حقيقتها. ...

في تلك الأمسية اتصلت والدتها هاتفياً.

«والدك سيسافر إلى أميركا غداً، يا دلال»، قالت رباب. «إنه سيغيب لمدة أسبوعين، لذلك سأحضر عند والدتي في نهاية الأسبوع لإجازة قصيرة. المدينة حارة».

«هذا جميل»، قالت دلال. «الجدة ستفرح كثيراً».

«الآن أرجو أن تقومي بعمل ما لأجلي، يا عزيزتي. إن عيد ميلادي يقع يوم السبت وأود إقامة حفلة عشاء في ذلك النزل الجميل عند البحيرة، حيث اصطحبنا جدك مرة، هل تذكرين؟»

«نعم، أعرف. إنه جميل ومريح جداً».

«والطعام ممتاز. والآن أعتقد أن من الأفضل دعوة ماجد ووالديه، أيضاً. إنني أعرف أنك وماجد صديقان، ووالده صديق قديم للعائلة، كما تعرفين. إننا جميعاً سنلتقيهم مع سبعة آخرين في حفلة عشاء صغيرة جميلة. هل يمكنك دعوتهم، وحجز الطاولة لي؟ عند الساعة السابعة والنصف تقريباً».

«إجعليها عند الثامنة. إننا لا ننتهي من العمل في المشتل إلا عند السادسة».

«حسنا. إفعلي ما يناسبك. سيكون نوعاً من التغيير للجدة والجد ليتعشيا في الخارج، وأنا سأستمتع بالإحتفال بعيد ميلادي في الريف معكم جميعاً».

«تبدو فكرة عظيمة. سأتصل بهم هاتفياً هذا المساء وأحدد الموعد. متى ستحضرين؟»

«في صبيحة يوم الجمعة. سأتحدث قليلاً مع الجدة، يا عزيزتي».

بعد ذلك، شعرت دلال أن جدتها لم يكن لديها انطباعاً جيداً حول الحفلة، لكن عائلة ماجد قبلت الدعوة عندما اتصلت دلال هاتفياً، وهكذا تمت الترتيبات.

في غرفة نومهما ليلاً، نظر سليم إلى زوجته وهي تمشط شعرها بالفرشاة أمام المرآة. ورغم أنه كان الآن أبيضاً بدلاً من البندقي البني، فإنه كان كثيفاً وقوياً كما كان عندما تزوجا منذ اثنين وخمسين سنة.



«أنت لست سعيدة جداً لحفلة رباب هذه، أليس كذلك؟» قال لها.

«لا، لا أعتقد أن من الحكمة أن يصغي المرء إلى الماضي، ورباب في حالة قلقة، غريبة».

«إنها ستبلغ الواحدة والخمسين يوم السبت، يا عزيزتي. إنها ليست فتاة حمقاء».

«هناك نساء حمقى كالفتيات الحمقى. ليست هناك حدود سن للحماقة. إنها غارقة في الحنين إلى الماضي. وأخيراً عزيزتي المسكينة، تواجه حقيقة أن جلال لا قلب له».

«صورة موسومة للنجاح. ورباب تجد أن النجاح قد يغطي وهو ليس بديلاً للمودة البشرية».

«إنها في سن صعبة، لكن لا جدوى من النظر إلى الوراء والتمرغ في الندم لأنك لم تختر بصورة مغايرة. لقد خذلت رؤوف لمصلحة جلال. لقد اعتقدت في ذلك الوقت أن الإختيار كان سيئاً. كان رؤوف فقيراً ويعمل بمشقة، وجلال، بانقياده وماله، سحبها من قدميها».

«كان يعني امتلاكها، وجلال، حتى حينئذٍ، لم يكن سهل الإنقياد».

«حسناً، لقد كان كل هذا منذ زمن طويل. إن رباب حمقاء في محاولتها نبش الذكريات القديمة، وأكثر من حمقاء إذا هي اعتقدت أن بإمكانها إحياءها من خلال دلال وماجد».

«هل هي تفعل هذا؟»

«نعم. لقد أخبرتني في المرة الأخيرة التي كانت فيها هنا أنها

سترتب كل شيء إذا ماجد تزوج من دلال، وهي تقريباً تقنع نفسها أن القدر قد ربط كل شيء».

«أنت لن تمانعي، أليس كذلك؟ ماجد شاب طيب، ويبدو أنهما يناسبان لبعضهما تماماً».

«لا، لن أمانع، إذا كانت دلال تكن له عاطفة، لكنني لن أكون سعيدة حول الموضوع من وجهة نظر رباب. إنها لا تزال إمرأة جذابة جداً، يا سليم».

«أعلم. ورؤوف رجل رزين ومحترم. أعتقد أنه لا داعي لقلقك، يا عزيزتي».

«ربما. لكنني لا أريد من رباب أن ترمي ماجد ودلال إلى أحضان بعضهما فقط لكي تستطيع إنعاش الماضي وتتصل بعائلة ماجد عبر زواج دلال. لا تراجع هناك. يجب على رباب أن تعلم ذلك. إذا شعرت الآن أنها ارتكبت غلطة فلن يكون هناك من ضرر سوى التعاسة لها لسعيها المتواصل لرؤية رؤوف».



# الفصل الثالث

كانت سميرة تقوم بعملها مع دلال في صبيحة اليوم التالي عندما قالت: «يا عزيزتي، هل يمكنني أن أزعجك بالصعود إلى العلّية وأن تجدي النسخة المخطوطة لأحد كتبي الأولى، المسمى «أصدقاء ساندريللا في الغابة السرية»؟ إن وكيلي لديه استعلام من الخارج، والنسخة المخطوطة هي الوحيدة التي أمتلكها. إن عليه أن يتدبر أمره بها، إذا كانت مصونة. لقد كتبتها منذ عشرين سنة، وأعتقد أنها مع المخطوطات الأخرى فوق».

«حسناً. هل تريدينني أن أرسلها مع رسالة تغطية، في حال وجدتها؟»

«نعم، من فضلك. حاذري كيلا يصطدم رأسك بالسقف. مفتاح النور الكهربائي على يسار العلّية عندما تدخلين».

كانت الحقيبة عند الجانب البعيد للعلّية، فسحبتها دلال إلى قرب النور. في الظل، لم تلاحظ الجسم المربع الموجود خلف الحقيبة، وما أن فقد مسنده حتى سقط وأحدث صوت تكسر زجاج. ورقة اللف البنية وقعت عندما رفعت الصورة وقرّبتها من النور لمعرفة مدى الضرر الذي سببته. كان هناك شق كبير في الوسط وقطعة زجاج سقطت

من إحدى الزوايا، لكن دلال قلما لاحظت التلف وهي تحدق في اللوحة الزيتية للعذراء. . بالألوان، كانت أكثر جمالاً من الصورة. شعرها أسود، وعيناها زرقاوان داكنتان، وحاجباها سوداوان. كانت ترتدي ثوباً يكشف عن كتفيها. كانت ترتدي حلقتين ذهبيتين. لقد أبدع الفنان في إظهار جمالها. كانت فيها لمحة عن غجرية، اعتقدت دلال.

بإصرار وضعت اللوحة جانباً وفتحت الحقيبة. عندما نفضت الغبار عن النسخة المخطوطة، أخرجت الصورة إلى الضوء حيث سحرتها أكثر. إنها لم تفقد شيئاً من جمالها في ضوء النهار، وقد كان إبداع الفنان واضحاً. نظرت إلى الإسم عند زاوية الصورة، وعرفته. لقد شاهدت لوحاته في الأكاديمية. شعرت بالكدر للتلف الذي أحدثته، وعادت إلى غرفة الجلوس واعتذرت.

«هل يمكنني استبدال الزجاج لك؟ كان يجب أن ألاحظها قبل سحب الحقيبة».

«يا عزيزتي، لا تفكري ثانية في هذا الموضوع. لقد كانت غلطتي لأنني لم أحذرك بأنها هناك. ذلك النور ضعيف جداً في العلية»، قالت سميرة.

«أية صورة تلك؟» سألت جمانة.

«لوحة العذراء. العذراء فاتن»، قالت سميرة، وهي تعبس قليلاً، كأنها لا ترغب في التحدث عنها. «جربي تفاحة، يا جمانة. إنها لذيذة جداً».



«لا، شكراً. بكل تأكيد أنت لم تحفظي الصورة، يا سميرة؟ سيغضب داوود لو عرف»، قالت جمانة، متجاهلة نظرة شقيقتها المحذرة.

«إنها عمل فني. إن التصرف بها جريمة. لقد هلعت عندما رأيتها على الكومة، تنتظر من يرفع الغبار عنها».

«هل يعلم أنها عندك؟»

«لا».

«حسناً، إنني لا أرى جدوى من إخفائها في العلّية. حتى لو احتفظنا بها هناك حتى نعود إلى بيتنا، فإننا سنخاف من تعليقها في أي مكان خوفاً من أن يراها داوود».

«عندما نعود إلى المدينة. سأتصل بالفنان وأسأله إذا كان يود أن يقبلها، كهدية. إن إحدى أروع أعماله. هل تلفينها ثانية، يا دلال؟»

«حسناً. وسأعيدها خلف الحقيبة».

«هذا جيد. والآن أقترح أن ننسى الموضوع. إكتبي ملاحظة مع نسخة المخطوطة وارسليها بالطرود البريدية، يا عزيزتي، وباستطاعة البستاني أن يرسلها بالبريد وهو في الطريق إلى بيته».

تلقت دلال الإشارة وغادرت إلى مكتبها. وعندما نزلت إلى المطبخ فيما بعد لإعداد الشاي، وجدت جمانة هناك قبلها.

«الأفضل أن لا تقولي شيئاً عن الصورة»، قالت جمانة بطريقة تآمرية بدت متأخرة قليلاً في مجيئها. «إنها ناعمة قليلاً».

«هكذا اعتقدت».

«وأرجوك أن لا تذكري شيئاً لداوود. لقد كانا مخطوبين، كما تعلمين. هو وفاتن». جلست جمانة على كرسي كأن ساقيها لا تقويان على حملها. «وقد خدعته فاتن قبل الزفاف بأسبوع. هربت إلى أميركا مع مليونير».

«هذا مريع بالنسبة إليه!»

«نعم. لقد كان يكن لها عاطفة حتى الأعماق. قبل وقت قصير حصل على إرث من عمته الكبيرة، وصرفه على رسم تلك اللوحة. لم يكن في وضع جيد في تلك الأيام. كان فقط يعمل على طريقته في الأعمال».

«منذ متى كان ذلك؟»

«دعيني أرى ـ لقد أعلن داوود خطوبته في عيد ميلاده السادس والعشرين، على ما أذكر. أي قبل خمس سنوات من كانون الثاني الأخير. كان عليهما أن يتزوجا في شهر حزيران القادم. اشترى داوود بيتاً، بمساعدة من جمعية بناء، وقام بتجهيزه. لم يستطع الإستمرار في تحمل كل أفكارها الغالية، لكنه كان بيتاً صغيراً جميلاً وتجهيزه يدل على ذوق رفيع، يمكنني القول».

«هل كان هو البيت الذي عاش فيه قبل المجيء إلى هنا؟»



«لا. لقد باعه مع كل الأثاث، حتى بدون أن يعيش فيه، وأقام في بيت والده. والدته توفيت مؤخراً ومدبرة المنزل كانت تهتم به. لقد كان مكاناً تعيساً، لا يمكن زيارته. والد داوود لم يستطع تحمل فقدان زوجته، وداوود تحول من شاب مليء بالحيوية إلى شاب عبوس، متحفظ. عندئذٍ بنوا مجموعة من الشقق عند طرف الحديقة، في الوقت الذي توفي فيه والد داوود، وعندها قرر داوود نقل العمل من المدينة وجاء إلى هنا».

«مسكين داوود. الحياة لم تعامله باللطف».

«ربما الصدمة لم تكن عميقة لو أن الضربة في كبريائه لم تكن بنفس مرارة الضربة في عاطفته. على أي حال، إنه حذر قليلاً من النساء، واسم فاتن لم يعد يذكر. إن سميرة ستجلدني إن هي عرفت أنني تحدثت معك حول هذا الموضوع، لكن نظراً لأنك رأيت الصورة، فإنني لا أجد مانعاً في معرفتك. الألغاز مثيرة».

«إنني لن أبوح بشيء». وعدت دلال.

في المساء عادت دلال إلى بيتها عبر المرجة، وهي لا تشعر بما يحيط بها. كان شبحا فاتن وداوود أمام عينيها. لقد كانت هناك عاطفة جياشة بدون شك. وجه فاتن لا يتلاءم مع أي شيء فاتر، وتحت تحفظ داوود الحاقد أحست بقوة مشاعر غامضة. لقد أخفى مشاعره وأبقاها تحت سيطرة حديدية، لكنها أحست بها لأول مرة عندما التقطها في حديقته. لقد بدا غير بشري حينئذٍ، لكن ذلك

الشعور الذي هاجمها لم يكن إستجابة للإنسانية. ليس رجلاً يمكن اللعب به. مهما يمكن أن يقال حول سلوك فاتن، فإنه لا حاجة للإنكار بأنه يحتاج لمزيد من الشجاعة لخذل رجل مثل داوود.

رباب، بكل السحر الإجتماعي والمهارة التي وهبتها لها خبرة السنين، أكدت أن حفلة عشاء صغيرة في النزل كانت ناجحة، لكن بالنسبة لها كانت خبرة مضطربة غريبة لترى أواصر الود بين رؤوف وزوجته وابنه. كانت منال إمرأة بدينة، سعيدة المظهر بشعر أشيب وعينين زرقاوين.

ربت ماجد على كتف دلال مع إبتسامة وقال: «باركي الفتاة، إنها لا تعارضني في أقل شيء».

رباب، وهي تراقبهما، اعتقدت أنها لاحظت نوعاً من الود في صوته، وفي رنة ضحكتيهما، وقد بدا واضحاً أن الأمور تسير بينهما على خير ما يرام. إن الأمور ستتطور كما تشتهي. كانت دلال الآن أسعد من أي وقت مضى. التفتت لترى أن رؤوفاً يتأملها. كان جالساً إلى يسارها وكان هناك إعجاب في عينيه.

«هل تحضرين كثيراً إلى هذه القرية؟ لقد أخبرتني والدتك أنك تمارسين حياة إجتماعية صاخبة في المدينة».

«فعلاً، لكنني أحضر عندما أستطيع خاصة وأن دلال تعيش هنا الآن. إن الذكريات القديمة تشدني، أيضاً.



أعتقد أن الماضي يشد بقوة أكبر عندما يكبر المرء، أليس كذلك؟»

«إنني مشغول جداً مع الحاضر ولا وقت لدي لأعيش على الماضي. على أي حال، إنني أجد الحاضر مرضياً. إننا نشق طريقنا أخيراً في عالم البستنة، وأنا وماجد نحبه. إنني لست واحداً من أولئك الذين يندبون شبابهم المفقود.»

نظرت منال والتقت عيناها بعيني زوجها. ابتسمت ابتسامة خفيفة قبل أن تجيب على السؤال الذي وجهته إليها السيدة لمياء. كان ذلك أقصر تبادل للنظرات، لكنه وخز رباب. تفاهم، ودفء، وثقة: كانوا جميعاً في ذلك التبادل الخالي من الكلام. إن هي فقدت تلك السعادة في زواجها، فيجب أن لا تفقدها دلال، هكذا اعتقدت. دلال ستتكيف مع حياتها الجديدة. إنها سوف تستدفيء على هامش سعادتهما بوجود رؤوف كصديق في الخلفية.

في تجربة دلال، كانت هناك أيام مظلمة منذ بزوغ النهار، ويوم الجمعة الرطب الشديد الحرارة من شهر تموز كان إحداها. لقد أفرطت في النوم بعد ليلة متأخرة من الرقص في أوكسفورد مع ماجد، مما سبب لها صداعاً. كانت تركب الدراجة على طول الزقاق، ونقاط كبيرة من المطر تتساقط عليها، فانزلقت السلسلة من دراجتها، وتلطخت يداها بالشحم وهي تعيد السلسلة إلى مكانها.

وصلت إلى القرية ساخنة، متسخة ومبللة من العاصفة التي كانت عنيفة مثلما كانت قصيرة.

حرثت خلال التجارب لكتاب سميرة الأخير بعد ظهر ذلك اليوم، فوجدت أنه يصعب عليها التركيز، ولما كان العمل يتطلب تركيزاً تاماً، فإن تقدمها كان بطيئاً.

«لا أعتقد أن بإمكاني إنها التجارب اليوم، يا سميرة»، قالت وهي تتناول الشاي. «هناك أخطاء أكثر من المعتاد».

«لا بأس يا عزيزتي. سأنتهي منها غداً. تبدين مبللة. هل أنت على ما يرام؟»

«صداع طفيف. لقد كانت هناك عاصفة».

جاءت العاصفة من جديد، ولم تكن من النوع الذي تتمناه دلال. لقد هبت مع وصول داوود الباكر. كانت ف في غرفة سميرة عندما سمعت السيارة ونظرت من النافذة.

«لقد عاد داوود باكراً»، قالت لها.

«نعم»، قالت سميرة. «إنه سيذهب إلى المدينة لحفلة عشاء المعهد. أعتقد أن هذا يجب تغييره، يا دلال. لست أدري كيف أخطأت في تلك الجملة. يجب أن نحاول إيجاد بديلة بنفس عدد الكلمات لتجنب أي خلل في صف أحرف الصفحة بكاملها».

في الوقت الذي انتهت فيه سميرة من تبديل كلمات الجملة، قاربت الساعة على الخامسة، فأخبرت دلال أن تتوقف عن العمل وتعود إلى البيت.



«تبدين كلك عيوناً، يا عزيزتي. يمكنك الإنتهاء من التجارب في نهاية هذا الأسبوع. لقد فعلت أنت القسم الأكبر. قبل أن تذهبي، أرجو أن تطلبي من شقيقتي أن تعد إبريقاً آخر من الشاي. إنني سأستمر في العمل، والشاي مع قليل من التوست سيساعداني على الإستمرار. لا أريد شيئاً آخر هذا المساء. ليست عندي شهية في هذا الطقس الحار».

في المطبخ، قامت جمانة بإقناع دلال بتناول كوب آخر من الشاي قبل أن تذهب إلى البيت. كان بإمكان دلال أن تسرع في الذهاب إلى البيت، لكنها تعلم أن جمانة ترحب بالحديث، لأنها كانت تجد حياتها في القرية موحشة بعد أن كان لديها رفيقات تستمتع بحديثهن في المكتب. كانت تحدث دلال عن الإجازة التي تخطط لها عندما دخل داوود. حيّاهما بسرعة.

«أهلاً، يا عزيزي»، قالت جمانة. «الحر لا يناسب مثل هذه البذلة».

«حسناً، لقد أخذت دوشاً بارداً بدلاً من الدافيء. إنني أشعر بالبرد، فشكراً لك، يا عمتي جمانة. هل توقف المرجل؟»

«نعم، يا عزيزي. لقد نسيت السيدة بثينة أن تعده عندما خرجت هذا الصباح، ولم تسنح لي الفرصة لإشعاله من جديد. لقد نسيت أن لديك هذا الموعد للعشاء».

أطرق برأسه وغادر، لكنه عاد بعد بضع دقائق.

«لقد تركت بعض الأوراق الهامة على مكتبي الليلة الماضية وقد اختفت. هل السيدة بثينة حضرت إلى هنا اليوم؟»

«محتمل. لقد كنت في الخارج هذا الصباح، لكنها عادةً تفتش إذا كانت هناك منافض سجائر لتفريغها».

«لقد قلت بأنه يتوجب عليها أن لا تدخل إلى هناك إلا في صبيحة أيام الأربعاء. ليس هناك أمان في تركها هناك ما لم أوصد كل شيء». تحدث بهدوء، لكن دلال شعرت بالتوتر يتفاعل.

«حسناً، إنها لا تستطيع أكلها. أعتقد أنها وضعتها في أحد الجوارير. أنت لا تريدها الليلة، أليس كذلك؟»

«إنني ما كنت لأسأل عن تلك الأوراق لو لم أكن بحاجة إليها. سألقي نظرة أخرى».

عندما ذهب، تنهدت جمانة.

«إنه يريدني أن أتخلص من السيدة بثينة، كما تعلمين، لكنه لا يدرك صعوبة الحصول على مساعدة في هذا البيت. وهي ليست رديئة».

«سأرى إذا كان بإمكاني مساعدته في العثور عليها»، قالت دلال. عندما لم تتقدم جمانة.

في المكتب، كان داوود متجهماً يقلب طاولة مكتبه مما جعل دلال تعتقد بأن العمة جمانة ربما كانت حكيمة في الإبتعاد عن هذا المشهد.



«هل يمكنني أن أساعدك، يا داوود؟ كيف شكلهم؟»

«إنها طراحي كوارتو مطبوعة، نصف دستة. إنها مقالة لصحيفة المعهد».

«هل أنت واثق من أنك تركتها هنا ولما تأخذها إلى المكتب؟» سألته.

اعتقد إنه كان سؤالاً أحمق، لكنه قال: «إنني لست أحمقاً، يا دلال».

«إذن عليك أن تسأل السيدة بثينة غداً صباحاً. لا أعتقد بأنها يمكن أن تخفي أوراقاً».

«إذن أين تعتقدين أنهم ذهبوا. لقد تركتهم على هذه النشافة على هذا المكتب الليلة الماضية».

«لا شيء يفرض عليك أن تفقد أعصابك»، قالت دلال. «بكل بساطة، يمكن إدخال المقالة في العدد التالي للصحيفة. لا أعتقد بأن هناك كارثة».

استقام ونظر إليها. بدا متحمساً، بعد أن قلب البيت من أجل بضعة أوراق أهميتها مبالغ فيها.

«تبدين في القمة. إنك تتأخرين كثيراً في الليل؟»

«ما الذي يجعلك تعتقد ذلك؟»

«أوه، لقد رأيتك تعودين إلى البيت في سيارة الشاب ماجد الليلة الماضية حوالي منتصف الليل».

«لقد كنا في حفلة رقص وتأخرنا».

غير الموضوع قائلاً: «سأوصد هذا الباب في المستقبل».

«أعتقد أن تلك الأوراق يفترض وجودها في تلك الحقيبة»، قالت دلال بعذوبة.

«يا فتاتي العزيزة، توقفي عن إبداء الملاحظات. لقد أحضرتها معي إلى البيت الليلة. لا جدوى. يجب أن أتركها. إنني أكره أن أخذل الناس بعد أن وعدتهم بشيء ما».

أرعدت السماء، ثم هطل المطر كحنفية مفتوحة. دلال، التي توجهت إلى النافذة، نظرت إلى الحديقة حيث كانت النباتات والشجيرات تترنح تحت قوة المطر.

«أوه، أي يوم مظلم هذا!» قالت، وشيء ما في صوتها جعل داوود يقف إلى جانبها.

نظر إليها، ثم أدار وجهها. حاولت أن تخفي دموعها.

«ما الأمر؟ متضايقة من الطقس؟»

«قليلاً. كل شيء يسير بطريق الخطأ اليوم. والآن أنت»، قالت بنفور.

«أنا؟ إنني الآن أضرب مثلاً في السيطرة على الذات. كان يجب أن تشاهديني عندما أفقد أعصابي».

«أستطيع أن أتخيل ذلك. هل جربت في الطاولة القلّابة؟»

«لا شيء هناك سوى لوحة الرّسم».

«أعلم. لكنني أستطيع أن أرى زاوية من الورق ملتصقة تحت لوحة الرسم».



اتجه نحوها عبر الغرفة وسحب الأوراق من تحت اللوحة.

«حسناً، ما الذي تعرفه؟» قالت بترو.

«حسناً، باركي عينيك الثاقبتين». وبعد فترة صمت قال: «سأتعامل مع السيدة بثينة في الصباح. هل حضرت هذا الصباح سيراً على الأقدام أم على الدراجة؟»

«على الدراجة. لكن السلسلة انزلقت، وقد تبللت. لا يمكن ركوب الدراجة في هذا الطقس.»

«سأنقلك. يمكنك أن تحضري دراجتك غداً».

قبلت عرضه شاكرة. من رؤيتها له أنانياً، فقد بدا الآن لها محبوباً للغاية. لقد بدأت تعرف هذا الرجل ببطء. جالسة إلى جانبه في السيارة، أدركت أنه، مهما كان، قد دخل حياتها بصدمة لم تعرفها من قبل.

كان الزقاق غارقاً بالماء، ومسّاحة الريح استطاعت بصعوبة إبعاد المطر عن زجاج السيارة. لقد كانت تجربة جديدة لها.

«وكيف حال فتاتي هذا الصباح؟» سأل ماجد، وهو يضع يده على كتف دلال.

كانت تكتب البطاقات، وحركته هذه هزت ذراعها.

«هل هذه لمساكب أشجار الألب؟» سأل ماجد.

«نعم. لقد انتهيت تقريباً».

«حسناً، وفّري لحظة للشريك الصغير، هل تسمحين؟

عندي ملاحظة من والدتك هذا الصباح تدعوني نهاية الأسبوع القادم عندما تعودين إلى البيت».

«أوه»، قالت دلال بدهشة.

«إنك لا تبدين مسرورة تماماً».

«إنك لا تحب نهاية الأسبوع في المدينة بصورة خاصة، أليس كذلك؟ خاصة وأن أيام السبت هي أيام عمل هنا».

«لأجيب على الجزء الأول من سؤالك، نعم، إنني أحب قضاء يومين معك في المدينة. لم أتشاور مع الوالد بعد، لكنني أستطيع القول إن بإمكانه أن يتدبر أمره بدوني مرة واحدة. لكن ما هو وقع الفكرة عليك؟ أعتقد أنك على علم وأنت التي اقترحت الفكرة على والدتك».

«لا. لم يخطر ببالي. بالطبع تسرني مرافقتك، يا ماجد. إنني أجد نهاية الأسبوع في البيت مملة الآن. إن يوم السبت القادم هو عيد ميلاد والدي، والوالدة ستقيم حفلة صغيرة. أغلبهم من الأقارب. إنك ستشعر بالضجر».

«لن أشعر بالضجر معك. وأنت هل تشعرين بالضجر معي؟»

نظرت دلال إليه غير متأكدة، ثم التقطت بطاقة أخرى، وقالت برشاقة: «لا. إنني لا أشعر بالضجر معك. إن كل ما أعتقده هو أنك لن تستمتع بنهاية الأسبوع، هذا كل شيء».

«فهمت. حسناً، سأجرب. هذا إذا لم تمانعي».



«أوه، لا تستمر هكذا، يا ماجد»، قالت دلال معترضة. «لقد حذرتك، وهذا كل شيء».

«حسناً، ما رأيك في مشوار غداً بعد الظهر؟ هل نحاول الصعود إلى قمة التلة هذه المرة؟»

«آسفة يا ماجد. إن عائلة داوود ستقيم حفلة في الحديقة غداً. الجدان وأنا مدعوون».

«وفي أيلول، ستغادرين معهم، وتتورطين هناك، أليس كذلك؟»

«إنه عمل مؤقت. سميرة تريد مني الذهاب معهم إلى الشمال لأكون قريبة لتدوين الملاحظات حول خلفية كتابها التالي».

«أعتقد أنك لا تفكرين بتغيير عملك والحضور إلى هنا للعمل بدوام كامل، كموظفة لائقة، أليس كذلك؟»

«لكنني غير مدربة على عمل البستنة، وعمل المكتب هنا لا يملأ كل وقتي».

«إنه سيملأ وقتك لو ساعدت بوضع البطاقات والتوضيب. إنني لا أقترح عليك القيام بأي عمل في الحقل».

«لا، يا ماجد، إنني أحب عملي مع سميرة، وقد تدربت على الأعمال السكرتارية. أشكرك على كل حال، والآن بكل بساطة يجب أن أنتهي من هذه البطاقات. إن والدك ينتظرها».

«أراك عند الغداء، إذن».

عندما ذهب، توقفت دلال عن العمل وبدأت تخرطش على قطعة ورق. كانت غاضبة من والدتها لدعوتها لماجد بدون الرجوع إليها، وكانت ممتعضة قليلاً حول طريقة ماجد مؤخراً. صداقتهما الحيوية، العادية بدأت تتخذ منحىً جدياً من ناحية ماجد، ونظراً لولعها به، فإنها لا تتمنى هذا التطور. لقد وجدته رفيقاً طيباً، لا أكثر، لكنها تكره أن تؤذيه، وتأملت أن تكون قد تخيلت الأشياء. ربما لو أنها لم تقابل داوود، لكان شعورها مختلفاً، ولكانت على استعداد لاكتشاف علاقة أعمق مع ماجد، الذي كان لطيفاً، وأميناً، وغير معقد. لكن داوود ملأ أفكارها هذه الأيام. مهما شعرت نحوه بعاطفة، أو كرهته، أو خافت منه، فإنها لا تستطيع القول، لأنها اختبرت كل تلك الأحاسيس في أوقات مختلفة معه. إنها تعرف فقط أنه قد امتصها ولم يترك مجالاً لأي شخص آخر. وغداً، اعتقدت، وهي تلتقط بطاقة أخرى، ستراه في حفلته، فشعر قلبها بالدفء للفكرة.

عندما استيقظت في صبيحة اليوم التالي، كانت أشعة الشمس تتسلل عبر الضباب الباكر. وحجب النوم ابتعدت عنها، فإن ذكرى الحفلة في القرية غمرتها بالفرحة. لقد كانت فكرة سميرة دعوة الأصدقاء الجدد الذين تعرفوا عليهم في القرية مع بعض الأصدقاء القدامى من المدينة لإعطاء البيت حفلته الأولى المنظمة. لم تكن دلال متأكدة بأن داوود متحمس لها، لكن جمانة أعدت لحاجته



للدفء. التموين كان سيتم عن طريق مؤسسة خارجية، وقد اتخذ كل الترتيبات. وبالنظر لحاجة عمته للمهارة على الجبهة المنزلية، فقد اعتقدت دلال أن هذا الترتيب معقول.

بداية اليوم الموعود تحققت، وارتدت دلال ثوباً من الشيفون الأخضر والأبيض للمناسبة. كان من النوع البسيط، بدون أكمام، وبتفصيل جيد، وبدا جديداً وصيفياً. أوصلهما جدها بالسيارة القديمة، وجلست جدتها في المقعد الخلفي، وهي ترتدي ثوباً حريرياً أزرق وأبيض، وقبعة بيضاء من القش.

من البداية، كانت الحفلة تميل إلى الإنقسام لمجموعات منفصلة. أصدقاء جمانة المتوسطي السن، معظمهم من الإناث، كانوا ملفتي النظر لكثرة حديثهن عن شؤون المكتب وشخصيات المكتب الذين التصقت بهم جمانة بشوق، دون أن تحاول الإبتعاد عنهم أو دمجهم في مجموعات أخرى. سميرة تجولت مع بعض الناس في الحديقة بسحر ورشاقة بالغين، ثم جلست في زاوية بعيدة، تتحدث طويلاً وبشوق مع الفنان الذي يرسم صور كتبها.

كان داوود يرتدي طقماً رمادياً فاتحاً بجاكيت مفتوح يكشف عن قميص أبيض وربطة عنق مخططة رمادية وزرقاء. ورغم أنه كان طويلاً وعريض المنكبين، فإنه كان

يتنقل برشاقة عندما جاء عبر الحشائش باتجاه دلال، يحمل طبقاً من الساندويشات.

«أهلاً،» قال لها. «تبدين باردة كالخسة. هل لديك مانع لو انضممت إليك؟ شاركيني هذه الساندويشات».

جلس إلى جانبها واتكأ على جذع شجرة، وطبق الساندويشات بينهما.

«حسناً، إنه يوم جميل لحفلتك»، قالت له.

«هم - م م. إنها ليست حفلة. إنها جمعية مجموعات نقاش منفصلة. لا مفر، على ما أعتقد، مع هكذا مجموعة متباينة».

«أنت بحاجة إلى موضوع بحث موحّد، مثل حفلات والدي. أعمال. ثم الناس يتداخلون بسهولة. لكن هذه أجمل بكثير، على ما أعتقد».

كانا يسيران باتجاه البيت عندما جاء النادل المسؤول عن التموين.

«معذرة، يا سيد داوود، لكن هناك إمرأة شابة في البيت تسأل عنك».

«ما اسمها؟»

«لم تعطني إياه. لقد طلبت مريم مني أن أخبر السيد داوود أن صديقة تريد رؤيته».

«فهمت. شكراً، تعالي، يا دلال. دعينا نرى من تكون هذه الغريبة الغامضة. ليست عندي فكرة، ربما واحدة من اللواتي يجمعن التبرعات».



في القاعة، إمرأة شابة نحيلة، طويلة، ترتدي ثوباً مرجانياً، استدارت عندما سمعتهما، وتسمّر داوود في مكانه، فيما نظرت دلال إليه، ورأت شحوب وجهه.

«أهلاً، يا داوود»، قالت الفتاة.

«يا إلهي! أهذه أنت؟»

«هل جئت في وقت غير مناسب؟»

وقفت هناك، أمام الساعة، دون أن تتحرك، وخيم الصمت كأن ثلاثتهم تجمدوا كالتماثيل. اللوحة لم تمنحها المزيد من العدل، اعتقدت دلال. شعرها الأسود كان معقوداً خلف أذنيها وينسدل مرتخياً في سحابة ناعمة حتى كتفيها. بشرتها التي بلون الكريم كانت غشاءً كاملاً لعينيها الداكنتين الواسعتين، وحاجبيها السوداوين الناعمين. كانت لا إنسانية لتكون بهذا الكمال، اعتقدت دلال، ثم صوت داوود الخشن جعلها ترتعش.

«أنت عصبية، يجب أن أقول».

«أعلم». نظرت إلى دلال. «هل يمكننا أن نكون لوحدنا؟»

«لا»، قال داوود عابساً. «لا شيء عندي لأقوله لك ولا أنا مهتم بما ستقولينه لي. سأريك طريق الخروج».

«لن أخرج قبل أن أقول ما عندي، يا عزيزي داوود». استدارت نحو دلال. «فقط دعينا لوحدنا لعدة دقائق، من فضلك، يا عزيزتي».

«لا، يا دلال»، قال داوود.

«أريد أن أغسل يدي قبل أن ترين المكتبة، يا داوود»، قالت دلال بهدوء.

«حسناً. لا تتأخري».

لكن عندما ذهبت دلال، كانا لا يزالان يتحدثان. كان صوت الفتاة صافياً ناعماً.

«لقد جئت لأطلب الصفح منك، يا داوود. إنني أعلم أن ما فعلته كان وحشياً، لكن أرجوك أن تصدقني بأنني نادمة منذ ذلك الحين».

«لقد توقعت أن مال رائد لن يسعدك كثيراً».

كان من الواضح أن داوود تكلم بلهجة ساخرة باردة.

«إنني أعلم بأنك تشعر بالمرارة. إذا كان يرضيك، فالحياة مع رائد كانت كابوساً بعد السنة الأولى».

«أنت تعرفين سمعته، وأي نوع من الرجال كان. لقد كتب عنه كل شيء. لقد عرفت ما كنت تفعلين، يا فاتن. لا شيء أفضل. هل طلّقته، أم أنه هو الذي طلقك؟»

سقطت الكلمات مثل النقط الصغيرة للأسيد، وقد تعجبت دلال كيف استطاعت فاتن البقاء وتحمل كل ذلك.

«أنا طلقته».

«بالطبع. أنت ذكية جداً لتدعيه يتخلى عنك. لقد كان سعرك تسوية غنية جميلة، على ما أعتقد. ليس لأنني مهتم، وما هو سبب مجيئك إلى هنا، لا أستطيع أن أتصور».



«أوه، نعم يمكنك. إنني أعترف بأنني إرتكبت غلطة. وتحت غضبك وكبريائك المتألمين، واللذين أعترف بأنني أستحقهما، أنت ما زلت تكن لي عاطفة قوية، يا داوود. هذا هو ما جئت لاكتشافه».

«إنني أكرهك وأحتقرك».

«حقاً؟»

نظرت دلال فوق الدرابزين، ورأتها تبتسم.

«نعم. والآن أخرجي، ولا تحاولي الإتصال بي ثانية. ما كان بيننا قد انتهى منذ خمس سنوات، يا فاتن، عندما غدرت بي».

«يا عزيزي، داوود. أنت دائماً حاد الطبع. إنه يجب أن يكون قد حف الآن. لكن الكراهية والعاطفة تسيران يداً بيد، كما تعلم».

«الإحتقار هي الكلمة».

«هل تلك هي العمة جمانة التي أراها عند النافذة؟ إنها والعمة سميرة تديران البيت لك، أليس كذلك؟»

«يبدو أنك اكتشفت الكثير».

«نعم. لقد كنت متشوقة لأعرف إذا كنت قد تزوجت إمرأة أخرى. لقد اتصلت بشريكك السيد بهاء. لقد أخبرني كل شيء عنك. إن الشركة أصبحت لك الآن، على ما أعتقد. تهانيّ».

كانت السخرية بادية على وجه فاتن وهي تنظر إليه،

وفمها مثير، والتحدي بادٍ عليها. ملامح داوود ظلت عابسة وجامدة.

«هل أخرجك، أم تخرجين لوحدك؟»

«هل حقاً ستكون عنيفاً؟ نعم، أعتقد أنك ستكون. إن هذا هو ما أتمناه منك دائماً، يا داوود. لمسة العنف تلك. إنها قد تكون مثيرة في دنيا الرجال المروضين، الخاملين. سأخرج، رغم أنني لا أمانع في أن تطردني أنت. ونظراً لأن لديك ضيوفاً، فإنني لن أجعلك تشعر بالإرتباك. إنني واثقة من أنك ستتصل بي عندما تهدأ. نحن حقاً لبعضنا، كما تعلم».

لم يقل داوود شيئاً، بل رافقها إلى الباب. بعدا عن نظر دلال الآن، لكنها سمعت فاتن تقول بصوت ناعم: «وداعاً، يا عزيزي. لا تتأخر كثيراً».

أغلق الباب، وعاد داوود عبر القاعة ووقف عند النافذة، يحدق في الحديقة ويداه خلف ظهره، ورأسه منحنٍ. بعد لحظة تردد، هبطت دلال السلم ببطء. وعندما وصلت إلى منتصف الطريق، قال داوود، بدون أن يدير رأسه: «ها هو جدك قادم، يا دلال. إدخليه إلى المكتبة، من فضلك. سأنضم إليكم في خمس دقائق. أريد أن أتحدث مع الخادم بخصوص العشاء».

عندما انضم داوود إليهما، بدا كأن شيئاً لم يكن. المكتبة التي ورثها عن والده، أعجبت جدها. وفيما كان



الرجلان يتحدثان، كان عقل دلال مشغولاً بعودة ظهور فاتن. هل كانت على حق؟ هل ما زال داوود يكن لها عاطفة؟ إنه سيكون من الصعب على أي رجل أن يقاوم جاذبيتها الجسدية.

بعد العشاء، الذي كان لذيذاً جداً ودام لفترة طويلة، بدأ الضيوف بالإنسحاب. عندما غادرت دلال وجدها، سار داوود معهما إلى السيارة، لكنه عندما قال لها تصبحين على خير، شعرت بأنه لم يكن يشعر بها حقاً. لقد كانت نهاية حزينة ليوم صيفي جميل.

# الفصل الرابع

كان ذلك عند نهاية بعد ظهر أحد أيام الأسبوع التالي عندما نظرت دلال من فوق خزانة الأضابير في غرفة سميرة وشاهدت سيارة فخمة بلون الكريم تقف عند المدخل، وتخرج منها فاتن. كانت ترتدي ثوباً أسود وأبيض من قماش يتمايل مع النسيم عندما سارت باتجاه الباب الأمامي. عندما عادت دلال إلى مكتبها بعد بضع دقائق، سمعت أصواتاً قادمة من ناحية غرفة الجلوس. إنهما جمانة وفاتن. لقد تعجبت عما كانتا تتحدثان. ربما تبحث فاتن عن مدخل. إذا كان الأمر كذلك، فإن جمانة ستكون مخلصة تماماً لداوود، وحصينة جداً لمكائد مثل هذه الأنثى.

إنها بافتراضها لدافع حضور فاتن، كانت دلال على حق، لكنها لو رأت تزلف فاتن لعمة داوود لشعرت بالتأكيد أنها ستفشل، لأن التبدل الخادع لشخصية فاتن كان لمصلحة جمانة.

«أعلم أن سلوكي كان رديئاً للغاية، أيتها العمة جمانة. أنت لا تمانعين إذا دعوتك بالعمة جمانة، أليس كذلك؟ على كل حال، لقد كنت على وشك أن أصبح واحدة من



العائلة. إنك على حق في تأنيبي. لكن، صدقيني، لقد دفعت ثمن حماقتي. لقد سحبني رائد من قدميّ. لقد أعماني».

«لكن كيف استطعت أن تفضليه على داوود؟ لقد رأيت رائد مرة، لكنه كان أكبر منك بسنوات وكان واضحاً أنه زير نساء».

«أعلم أن ذلك كان غير معقول، وقد كنت مجنونة. لا عذر لي، لكنني على استعداد للقيام بأي شيء لإصلاح الخطأ. إنني أكن عاطفة جياشة نحو داوود، كما تعلمين. لقد كنت دائماً وما زلت أكن له تلك العاطفة. عندما شاهدته في دار الأوبرا ذات ليلة منذ عدة أسابيع، جلست وأخذت أندب حظي. إنه لم يشاهدني. لقد كنا في زحمة الإستراحة، وكان هناك جمهور غفير. وعندما شاهدته، حاولت بكل بساطة أن أكتشف إذا كان لا يزال مهتماً بي، وإذا كان بإمكاني إصلاح ذات البين».

نظرت جمانة إليها، محتارة قليلاً، لكنها تأثرت من الأسى الظاهر على محياها الجميل.

«لكنها كانت نوعاً من الوحشية أن تخذليه في اللحظة الأخيرة».

«ليست وحشية، بل جبناً، أيتها العمة جمانة. لقد كنت دائماً خائفة قليلاً من داوود. كما تعلمين. على أي حال، لا

جدوى من إثارة الماضي. لقد كنت حمقاء، ولا عذر لي. إنني بكل بساطة فقدت صوابي. والله يعلم، كم ندمت على فعلتي هذه».

«حسناً، «إنني سأكون آخر من تدين أية فتاة استغفلها رجل وندمت على فعلتها، مع أنني في ذلك الوقت كنت تعيسة جداً لأجل داوود. لكنني لا أرى سبباً لتزلفك نحوي، في حين أن داوود استقبلك ببرود عندما حضرت يوم الأحد الماضي. لم أعرف أنك حضرت. لم يقل لي شيئاً حول الموضوع».

«لا. لقد تحدثت فقط مع داوود. وكانت هناك فتاة تدعى دلال عندما وصلت. من هي؟».

«دلال هي سكرتيرة سميرة. إنها فتاة طيبة جداً. لكن إذا داوود رفض التسوية، يا عزيزتي، فماذا يمكنني أن أفعل؟».

«لا شيء، سوى السماح لي برؤيتك أحياناً لأظل على اتصال. كما ترين، فإنه بالرغم من غضب داوود عندما رآني، فإنني متأكدة أنه ما زال يهتم بي. إن لديه كل الحق ليغضب، وأنا أستحق ذلك. لكنني أعتقد، إذا كنت صبورة، فإنه سيلين ويمنحني فرصة لإصلاح كل شيء».

بدت عينا فاتن ترتعشان بالدموع عندما نظرت إلى جمانة، ذات القلب الحنون خلف واجهتها العملية. اتكأت وربتت على يد فاتن.



«حسناً، إذا كان بإمكانك الوصول إلى نهاية سعيدة وتمسحي الماضي، فلن تكون هناك من هي أسعد مني، يا عزيزتي. داوود بحاجة إلى زوجة. وقد كان يكن لك عاطفة عميقة».

«أعلم. وعندما أظهر توبتي، فإنني واثقة إن الله سيصفح عني».

«سأبذل ما في وسعي لمساعدتك».

«ليباركك الله»، قالت فاتن، وهي تمسح دموعها بمحرمة أرسلت عطرها إلى ناحية جمانة.

«لقد نسيت وشاحك، يا عزيزتي»، قالت رباب، وهي تدخل غرفة دلال. «لقد تركته في القاعة».

«أوه، شكراً، يا أماه»، قالت دلال، وهي تختار كلماتها بعناية. «لقد كانت نهاية أسبوع جميلة، لكنني أتمنى لو أنك لم توجهي الدعوة إلى ماجد بدون استشارتي أولاً».

اتسعت عينا رباب. «لكنني اعتقدت بأنك ستفرحين كثيراً. إنني دائماً أشعر بأنك تضجرين عندما لا يكون هناك رفاق من الشباب، وأنت وماجد صديقان طيبان».

«أعلم. لكن...».

«لكن ماذا؟».

«حسناً، نحن فقط صديقان طيبان، لا أكثر ولا أقل. إنني لا أريد أن يأخذ ماجد انطباعاً خاطئاً. إنني لا أكن له عاطفة، إذا كان هذا ما تعتقدينه».

«إنني فقط أعتقد أن ماجد هو من ذلك النوع من الشباب الذي أريدك أن تتزوجي منه، ولديه حاسة جيدة بحيث لا يأخذ انطباعاً خاطئاً من دعوة صديقة لنهاية الأسبوع. إنك تأخذين الأمور على محمل الجد، يا عزيزتي. إنه من الطبيعي أن أشجع صداقة أشعر بأنها مرغوبة. هذا هو واجب كل أم، بكل تأكيد».

«ومن الذي سيعتقد أنك ستتحولين إلى خاطبة، يا أماه؟» قالت دلال بخفة، وهي تغلق حقيبتها.

«يا عزيزتي، إنني جادة»، قالت رباب، وهي تجلس على السرير. «ليس من السهل لي أن أخبرك. أنا لست من نوع القلب للقلب، كما تعلمين. لكن... حسناً، لقد تعلمت من أخطائي، ولا أريدك أن تتعلمي نفس الدروس. إنها دروس مريرة جداً. أنا... ووالدك وأنا... لا، لا أستطيع مناقشة الموضوع معك».

«أنتما فقط متعارفان»، قالت دلال، بتدخل مدمّر.

«نعم»، قالت رباب، وهي تتطلع بدهشة إلى يديها دون أن تقول المزيد.

«وبالطبع إنه لم يكن كذلك في البداية».

«لا. هذا ما كنت أحاول أن أقوله الآن. لا تغفلي الأشياء المؤلمة لأنها مغلفة برونق عاطفي ومثير. لا تفقدي الأشياء التي تهم فعلاً وتدير الرأس وتتركه معلقاً باستمرار».



معلقاً باستمرار، اعتقد دلال، وهي تتذكر وجه داوود عندما رأى فاتن لأول مرة. مرارة حقيقية. إن والدتها تبدو تعيسة، ووضعت دلال يدها على كتفها.

«دعي الأمر لي، يا أماه. هذا هو كل ما أطلبه. إن حياة كل فتاة هي ملك خاص لها تكيفها كيف تشاء أو تفسدها».

فجأة شعرت رباب أن ابنتها قد كبرت. دلال الطفلة قد ولت. لكنها تعرف القليل عن مخاطر بحار العاطفة. نوعاً ما، إن على رباب أن تقودها إلى مرفأ الأمان. ولم يخطر ببال رباب أن حياتها الخاصة هي التي تتمنى إحياءها في حياة دلال؛ وإن لديها معرفة هائلة بقلب وعقل ابنتها، حيث أنها لم تسعى وراء تلك المعرفة.

دلال لم تشاهد فاتن في القرية ثانية، واستنتجت أن جمانة لم تشجعها على الحضور. لذلك فإنها دهشت عندما رأت جمانة وفاتن تتناولان القهوة معاً في أوكسفورد صباح يوم سبت.

كانت فاتن تتحدث بشوق، ومشهدها كدّر دلال. حاولت أن تواسي نفسها عندما تذكرت أن داوود سيأتي لتمضية المساء مع جدها. الجلسة في المكتبة وقت أمسية حفلة الحديقة كشفت ميلاً مشتركاً بين الرجلين نحو الأدب وقد تبين أنهما يستمتعان برفقة بعضهما. فقط لو أن داوود، اعتقدت، يستطيع تمضية الأسبوعين بكاملهما

معهن في الشمال، بدلاً من تمضية نهاية الأسبوع الأخير فقط، عندها ستسنح لها الفرصة للتقرب منه أكثر، وتفهمه بصورة أفضل، لأنه يكشف القليل عن نفسه، بالرغم من الصداقة الواعية التي تطورت بينهما. كثيراً ما كانت تعجب إذا كان يفكر بفاتن، وإذا كان يقاوم الرغبة في قبول عرضها. إنه لم يذكرها، ولم يتحدث عن الماضي. لقد احتفظ بدرعه مصوناً...

رغم أنها في قلبها قد شكت به لبعض الوقت، فإن دلال لم تعترف أخيراً بصورة مطلقة أنها تكن عاطفة لداوود حتى ذلك المساء. وعندما نظرت إلى الوراء، استطاعت أن تلاحظ اللحظة الحقيقية عندما أصبحت هذه الحقيقة واضحة.

لقد دخل إلى المطبخ الكبير القديم كأنه ينتمي إليه، فعرفت في تلك اللحظة أنها تكن له عاطفة، ساعتئذ وإلى الأبد.

أدركت أنه لا يزال أمامها الكثير لتتعلمه عنه، وليس لديها من سبب لتعتقد أن لديه أكثر من شعور صداقة حيالها، لكنها فقط أدركت تماماً أنها تنقصها جاذبية فاتن، ومع ذلك هي تشعر بسعادة عارمة فقط لفرحة العاطفة، لأن داوود في الحقيقة هو كما هو، وأنه دخل حياتها وأحدث هذا التغيير. أن تكن له عاطفة، هذا يكفي.

بقيت وحيدة معه عدة لحظات قبل أن يغادر.



«إنني أستطيع أن أفهم السبب في رغبتك للقدوم والعيش هنا، يا دلال. أنت محظوظة بحديك».

«أعلم. أن لدي دائماً شعوراً طيباً حيال هذا البيت».

«لقد منحني أيضاً شعوراً طيباً، «قال مبتسماً». لم أستمتع كثيراً بأمسية منذ سنوات».

راقبته وهو يقود سيارته تحت المطر الغزير.

«أمسية جميلة»، ألمح سليم. «ذلك الرجل ذو موهبة خارقة».

«وشهية طيبة. أحب أن أرى الناس يستمتعون بالوجبة»، قالت لمياء.

«أعتقد أن طهيك كان تغييراً جميلاً عن طهي عمته جمانة»، قالت دلال.

«هل سيحضر ماجد غداً؟» سألت لمياء.

«لا».

«لماذا؟ أنت وماجد ما زلتما صديقين طيبين، أليس كذلك؟».

«نعم». ترددت دلال، واضطرب وجهها، ثم قالت: «أعتقد أن الوالدة قد صممت في قلبها على تزويجي من ماجد، أليس كذلك؟».

«إنها ستفرح إذا كنتما مناسبين لبعضكما»، قالت لمياء بحذر.

«لن ينجح، يا جدتي. إنني أميل كثيراً لماجد. إنني مولعة به. لكنني لا أريد الزواج منه».

«وماجد؟».

«لست متأكدة. إنني أوضح قدر ما أستطيع بأننا فقط أصدقاء ولا أكثر ولا أقل، لكنني غير واثقة إذا كان قد تبلّغ الرسالة. على أي حال، أتمنى أن لا تحاول الوالدة اختراع عاطفة. إنني أكره إيذاء ماجد».

«هل أنت متأكدة من مشاعرك؟».

«متأكدة تماماً»، قالت دلال بحزم.

طبيعة سعادتها تحملت بسهولة مهاجمة السيدة بثينة يوم الإثنين التالي. تلك السيدة كانت تمسح زجاج النافذة في مكتب دلال عندما قالت بطريقة مثيرة: «ومن تعتقدين أنني رأيت في أوكسفورد بعد ظهر يوم الجمعة الماضي؟».

«ليست عندي فكرة»، قالت دلال، وهي تضع ورقة أخرى في آلة الطباعة.

«فتاة داوود الساحرة، فاتن».

«حقاً؟ لم أعتقد بأنك عرفتها من الصورة».

«لا أستطيع أن أخطئها. أعتقد أن سيدي يعمل هناك. لقد كنت أتسوق وادعيت أنني أنتظر الباص عند الموقف المقابل. حسناً، بعد أن وقفت حوالي عشر دقائق وكنت أفكر بأن عليّ الذهاب وإلا فإن الأطفال لن يتناولوا الشاي قبل النوم، وعندئذ خرج سيدي وتقدمت الجميلة نحوه.



لم أكن قريبة، ولم أستطع أن أرى إذا كان قد فرح بلقياها. لقد وقفا يتحدثان لعدة دقائق، ثم سار حول المبنى حيث يوقف سيارته، تاركاً إياها واقفة هناك. رأيته يقود سيارته كالرعد ماراً من أمامي. لقد تعجبت إذا كانت ستلحق به، لكنها أشعلت سيجارة، وكانت باردة كالخيار، وقادت سيارتها في الاتجاه المقابل. أعتقد أنه طلب إليها الابتعاد عن طريقه»، أنهت السيدة بثينة حديثها بقهقهة تحولت إلى سعال عندما رأت ملامح دلال.

وفي صبيحة اليوم التالي، التقت فاتن بجمانة لتناول القهوة. حملت السيدة بثينة الجلد المبلول على كتفها، وعبرت إلى النافذة بجانب مكتب دلال.

«هذا مضحك، أليس كذلك؟ إنني أراها للمرة الثانية. يجب أن أقول بأنه يعرف كيف يلتقطهن. لو كنت مكانها، لتحولت إليه مباشرة. أعتقد أنه ما زال بينهما حنين».

بدأت دلال تطبع، وقد لوت شفتيها قليلاً رغماً عنها. كانت غاضبة مثل السيدة بثينة.

الزيارة إلى الشمال، التي كانت تتطلع إليها دلال بشوق، أثبتت أنها فشل كئيب من البداية عندما غادرن القرية في أمسية باردة ممطرة وتأخرن بسبب خروج القطار عن الخط. الاندفاع والقلق أصابا جمانة بصداع شديد ليضاف إلى البرد الشديد.

أقمن في فندق عند طرف البحيرة مما جعل دلال تتخيل أن المحيط كان جميلاً، لكن بسبب الضباب الكثيف والمطر لمدة الإثنا عشر يوماً الأولى، فإنها استطاعت فقط أن تعرف القليل عن الريف المحيط باقتراب موعد قدوم داوود.

خفق قلبها عندما رأته يدخل قاعة الفندق، وحقيبته بيده. من الترحيب الذي تلقاه من موظفة الاستقبال ومدير الفندق، أدركت أنه كان ضيفاً مألوفاً هنا. لم يشاهدها عندما وقف عند المدخل. راقبته وهو يوقع سجل الفندق. ثم نظر وابتسم عندما رآها.

«لقد كان الطقس رديئاً في القرية كذلك». قال لها، بعد أن حياها. «إنه ليس من الخير أن أسألك عن رأيك في هذا الريف الجميل الآن، يا دلال».

«حسناً، لا يزال أمامنا يومان، وأنا لم أفقد الأمل».

أمطرت بقية ذلك اليوم، لكن بحلول صبيحة يوم السبت توقف المطر، رغم أن السماء كانت كئيبة، والضباب لا يزال حول الجبال. نزلت دلال لتناول طعام الفطور وهي سعيدة لفكرة اكتشاف الريف مع داوود، فقط لتشعر بخيبة الأمل.

«إن داوود سيأخذها اليوم بالسيارة، يا عزيزتي، لرؤية جدية»، قالت سميرة. «إنني أريد رؤية العجوزين طالما



نحن هنا. أنت لا تمانعين في البقاء وحدك هنا اليوم، أليس كذلك؟».

«بالطبع هي لا تمانع»، تدخلت جمانة برشاقة. «إنه ليسرها أن ترى ظهرنا لبضع ساعات. عانستان كبيرتان ليستا بالرفيقتين المثيرتين لأية فتاة في سن دلال».

«إن داوود يتصل الآن ليقول بأننا سنكون هناك على الغداء»، قالت سميرة.

وهكذا فإن كل ذلك اليوم الثمين الذي كان من الممكن أن تمضيه دلال برفقة داوود قد انقضى في الوحدة، والسير حول البحيرة، ومواجهة حقيقة العاطفة حيال رجل لديه اهتمام ضئيل حيالها. إن خيبة الأمل المفاجئة، قد أفسدت يومها، وعادت إلى الفندق لتناول الشاي وهي في حالة من اليأس، لتفاجأ عندما دخلت الفندق برؤية فتاة نحيلة، طويلة عند مكتب الاستقبال بمعطف رمادي أنيق، وإلى جانبها حقيبة وهي تشير إلى الخادم. إنها فاتن. ذهلت دلال وهي تراقبها وهي تسير خلف موظف الاستقبال فيما الخادم يكافح خلفها حاملاً ثلاثة حقائب. ماذا سيقول داوود لهذا الأمر؟ أم هل هو على علم بقدومها؟

العانستان وداوود لم يعودوا إلى الفندق إلا قبل العشاء بقليل، ولم تشاهدهم دلال إلا عندما دخلوا إلى غرفة الطعام. تأخرت قليلاً، ووقف داوود ليقدم لها كرسياً

لتجلس عليه. قررت أن لا تقول شيئاً عن فاتن، التي لم تظهر ثانية منذ وصولها ولم تكن في غرفة الطعام.

«هل قضيتم يوماً جميلاً؟» سألت دلال.

«كان يوماً جميلاً جداً، يا عزيزتي. لقد فرحا برؤيتنا. أتمنى لو أننا نعيش على مقربة...» انفجرت سميرة عندما رأت وجه داوود. كان ينظر فوق رأسها ناحية باب غرفة الطعام.

تلفتت دلال. لقد عرفت أن فاتن ستدخل طالما أن الجميع قد احتلوا مقاعدهم. اشتد فم داوود، لكن صوته كان هادئاً عندما ناقش موضوع الشراب مع عمتيه، متجاهلاً حقيقة معرفتهما بوجود فاتن. العمتان لم تقولا شيئاً. احمر خد جمانة قليلاً، وكانت تثرثر كثيراً خلال العشاء؛ وكان داوود وحده بعيداً عن الجو.

كانوا يتناولون القهوة في الردهة عندما قدمت فاتن نحوهم.

«حسناً، ما كل هذه المصادفات السعيدة!» قالت بابتسامة مذهلة. «إنني لم أستطع أن أصدق عيناي عندما رأيتكم في غرفة الطعام».

«لم تستطيعي؟» سأل داوود بجفاء.

لقد اختارت وقتها جيداً. بردهة مزدحمة، فإنه يمكن السيطرة على أي عداء. حيتها سميرة بأدب، وكذلك جمانة عندما سحبت كرسياً آخر، جلست عليه فاتن.



«لقد كنت أقيم عند بعض الأصدقاء في الشمال»، قالت رداً على سؤال سميرة. «إنني أفكر في قضاء أسبوع في الجبال قبل العودة، وإحدى الصديقات أرشدتني إلى هذا الفندق».

أنهى داوود قهوته ووقف. «أرجو أن تسمحوا لي أيتها السيدات. لقد اتخذت الترتيبات لتمضية هذا المساء مع مدير من أصدقائي القدامى».

وجه فاتن لم يخدع أحداً لكنها ابتسمت قليلاً وهي تراقبه يعبر الغرفة. لم تبق معهن طويلاً بعد ذهابه، قائلة أنها ما زالت بحاجة إلى تفريغ أمتعتها. عندما ذهبت، نظرت سميرة إلى جمانة محذرة وبدأت تحدث دلال عن رحلتهم. تكرس جهدهن حول موضوع وجود فاتن، وعندما عاد داوود كانوا لا يزالون في الردهة.

«أعتقد أنه يتوجب عليّ الذهاب إلى الفراش»، قالت جمانة بسرعة عندما رأته قادماً، لكنه وضع يده عليها عند وصوله.

«فقط دقيقة، يا عمتي جمانة. أريد التحدث معك».

«هل أذهب؟» سألته دلال، وقد أحست بالمشكلة.

«ليس قبل أن أكتشف ما يجري. إن فاتن لم تأت إلى هنا بمحض الصدفة. هذا ليس مكانها للإجازة. لقد عرفت أنني سأحضر ومتى. من أخبرها؟».

«يا ابني العزيز»، قالت سميرة. «لقد ذهلنا عندما ظهرت. إنني لم أضع عيناي على الفتاة منذ سنوات. هل رأيتها أنت؟».

«لقد حضرت إلى القرية بعد ظهر يوم حفلة الحديقة».

«يا إلهي، أية أعصاب لديها!» قالت سميرة.

«تماماً. لقد أوضحت بأنه لا نية عندي لتجديد العلاقة»، قال داوود بجفاء، «لكن شخصاً ما أخبرها عن هذه الإجازة، وإنني أشتبه بأنها اتصلت بواحدة منكما».

«حسناً، في الواقع، لقد حضرت في أحد الأيام»، قالت جمانة بحياء.

«عرفت. حسناً، يا دلال. ربما يمكنك أن تتركينا لحظة».

دلال، التي أرادت أن تغادر من قبل، فإنها الآن شعرت بالغضب لطردها. تعيسة ومضطربة، صعدت إلى فوق لفراشها، تاركة جمانة لتواجه الموسيقى.

وهكذا بزغ فجر يومهم الأخير، قائماً ومليئاً بالضباب، ولا وقت هناك للتعويض عن هذين الأسبوعين الكئيبين. عند الفطور كان الحديث رسمياً ومؤدباً بينهم بحيث أن دلال أرادت أن تصرخ. العمتان صعدا إلى فوق لتحزيم الأمتعة بسرعة، وكانت دلال تفكر بالالتحاق بهما عندما قال داوود: «تعالي لنذهب في مشوار، يا دلال. أريد التحدث



معك. لن نتأخر كثيراً. لديك المزيد من الوقت لتحزيم أمتعتك».

سارا على طول ممر موحل، دلال صامتة وتشعر باستعدادها للقتال فيما كان داوود يملأ غليونه.

«إنني آسف لأنك أمضيت أسبوعين سيئين»، قال لها. «كان بالإمكان أن يكونا عظيمين هنا».

«أستطيع أن أقول هكذا».

ساد الصمت ثانية لبضع دقائق، إلى أن قال داوود: «أعتقد أن العمة جمانة كانت تثرثر لك عني وعن فاتن».

«إنها طريقة مؤذية أن تضعها في هذا الإطار. لقد أخبرتني باختصار ما حدث. لم أخبر أحداً، وما سمعته لا يهمني».

«حسناً. على كل حال، لقد كانت قصة جيدة. ليست الفتاة المسكينة هي التي خدعت، لكن العريس كان شاباً أحمق».

«لكن لا يمكنك أن تلومنا لأن فاتن ظهرت ثانية».

«لا يحق للعمة جمانة أن تخطط من وراء ظهري. ماذا تظنني؟ طفلاً في مدرسة؟».

«لماذا فعلت ذلك؟».

«أوه، إن فاتن حاكت حولها بعض حبائلها بأنها تعيسة للغاية ونادمة وتريد البدء معي من جديد. الكثير من الثرثرة

العاطفية، والعمة جمانة وقعت في حبائلها. لقد كان يتوجب عليّ أن أكون شديداً معها، لكنني لا أعتقد بأنها ستتدخل في شؤوني ثانية. وأنا مسرور إذا بقيت بعيدة عنها، يا دلال».

وعندها فقدت دلال أعصابها بسبب خيبة الأمل في الأسبوعين الماضيين».

«وما جدوى مشادة يثيرها رجل مغرور لأن قريبته أبدت اهتماماً حياله! إنه فقط كبرياؤك هو الذي جرح. إن فتاة قررت في اللحظة الأخيرة أنها لا تستطيع الزواج منك ـ وأنا لا أستغرب، رؤية أي نوع من الرجال أنت. وهل يتوجب عليك أن تعاملنا جميعاً كمجرمات لأننا عرفنا شيئاً عنك تعتبره أنت نوعاً من الإذلال؟».

«ليس من الضروري أن تفقدي أعصابك وتوجهي الاتهامات»، قال داوود الذي اتخذت أعصابه الاتجاه المغاير لأعصاب دلال وأصبح أكثر برودة. «إن لي الحق في الغضب عندما الثرثرة تؤدي إلى إفساد إجازتي بوجود آخر شخص في العالم أريد رؤيته».

«أعتقد أن من الأفضل أن توضح لفاتن أنها تضيع وقتها، هذا إذا كنت حقاً تريد ذلك. إنها تعتقد أنك تمر في مرحلة إنقاذ لكبريائك وإعطائها صفعة أو صفعتين قبل أن تطوقها بذراعيك من جديد. ومن المحتمل أن تكون على حق».



«لا أعتقد أنك بحاجة لقول المزيد إلا بعد أن تسيطري على أعصابك. إنك في الوقت الحاضر تسلكين سلوك طفلة وقحة. عندما تعودين إلى هدوئك وطبيعتك فإنك قد تسارعين للاعتذار على ما قلته لي هذا الصباح. في نفس الوقت هل يمكنني أن أطلب إليك أن تهتمي بشؤونك الخاصة ولا تدسي بأنفك مع بثينة والعمتين، وفاتن، وكل القرية، لأنني أعرف كل شيء؟».

«بعد كل هذا، إنني أفضل أن أموت بدلاً من أن أعتذر. إنك لا تطاق. لقد خلقت من الحبة قبّة وعكرت الإجازة وحطمت الفرصة الأخيرة للاستمتاع بالساعات القليلة الباقية قبل أن نعود إلى البيت».

«إذن لم يعد هناك من مزيد ليقال، أليس كذلك؟».

وصلا إلى حائط منخفض، ونقر غليونه عليه ونكشه، فيما كانت دلال تعجب من السبب الذي جعلها تكن عاطفة عميقة حيال هذا الرجل. نظر إليها بعينين ضيقتين، وكان بارداً وسيد نفسه، فيما كانت هي تنتفض من الغضب والرغبة الملتهبة تطرق على ذلك الصدر الصخري. ثم فجأة خفت غضبها وبرد قلبها البائس، وأدركت في قرارة نفسها أن غضبها لم يكن فعلاً بسبب ما قاله، بل لأنه بكلماته قد أوضح بأنه لا يكن لها عاطفة، ومن الصعب أن تغضب من رجل لا يكن لها عاطفة. استدارت بعيداً وهي تقول:

«ليس هناك من مزيد ليقال، يا داوود».

عندما أخذت طريقها عائدة إلى الفندق، وحيدة، عاد المطر ثانية.

حالما عادوا إلى القرية، تبدل الطقس، وعادت الأيام المشمسة، التي تخيلت دلال خلالها بوضوح الفرص الهائلة أمام فاتن لتسوية خلافها مع الرجل الذي كانت على وشك الزواج منه. لقد أثبتت تخيلاتها شرعيتها بحلول صبيحة يوم الجمعة، فقد أقنعت نفسها تقريباً بأن داوود سيعود في ذلك اليوم خاطباً، إن لم يكن متزوجاً من فاتن.

لم تشاهده إلا بعد أن أنهت عملها بعد ظهر ذلك اليوم، عندما طلبت منها جمانة أن تأخذ إليه كوب الشاي في الحديقة. وجدته يجز الأعشاب الطويلة. كان يرتدي بنطلوناً رمادياً قديماً وقميصاً أبيض مفتوحاً عند الرقبة، وبدا قاسياً ومتشنجاً. استقام عندما رآها وأعطاها ابتسامة طفيفة غريبة.

«حسناً»، قال وهو يتناول كوبه. «وماذا ستقولين في نفسك عن هذا اليوم المشمس؟».

نظرت إليه بحذر، ووجد عيناه مطمئنتين.

«إنني سعيدة لرؤياك».

«مدهش، لكنك كريمة بالنسبة للقائنا الأخير».



«إنني لن أعتذر عن كل ما قلته في ذلك الصباح، فقط لشيء أو إثنين كانا... غير لائقين. إنني آسفة عليهما».

«أعتقد أنني الذي اضطرك لذلك، على أي حال. بالمقابل، يجب أن أعترف بأن صواريخك كانت بعيدة المدى. إنني آسف لأنني كنت متوحشاً قليلاً، لكنني كنت متكدراً. إن حادثة فاتن كانت مؤلمة للغاية، ونوعاً من الإذلال، وعملاً قذراً. إنني الملام أيضاً، وقد علمتني دروساً أنا بحاجة إليها. وقد تعلمت درساً أو درسين في نهاية الأسبوع الماضي، أيضاً. لكنني لا أعتقد بأن الآخرين، حتى الأصدقاء اللطفاء، لهم الحق بأن يدسوا أنوفهم، أليس كذلك؟».

«لا».

«حسناً، أعتقد أن علينا أن ننسى الموضوع».

عاد معها إلى البيت عبر الحقول. بعد أن تسلقت سلّم الحائط، جلست على القمة ونظرت خلفها فيما كان داوود ينتظر في أسفل الزقاق، يراقبها. ثوبها الأصفر الذي كانت ترتديه كان يلمع تحت أشعة شمس المغيب. عندما استدارت ونظرت إليه، مد ذراعيه. أمسكت يداه بخصرها وهو ينزلها ويشدها إليه لحظة وهو يقول: «لم أعرف أحداً يمكن أن يكون بهذه السعادة مثلك. إنها سعادة حقيقية. في عالم آخر».

لكنها لم تكن في عالم آخر، اعتقدت وهو يطلقها. أو

إذا كانت، فإنه كان معها. لكن في ذلك العالم الساحر، ما كان عليه أن يرفع ذراعيه عنها.

حطم تعويذة المساء بقوله: «العمتان تلقتا رسالة هذا الصباح من مالك البيت الذي ستشتريانه عندما يتقاعد. أنت تعلمين أنهما ستمتلكانه في الربيع؟».

«نعم».

«حسناً، إن صحته السيئة تضطره للتقاعد في العيد على كل حال. إنه سينتقل إلى غربي البلاد في شهر كانون الثاني، وهكذا فإن العمتين يمكنهما استلام البيت بأسرع مما تتوقعان. العمة جمانة تريد الانتقال حالما يصبح البيت شاغراً في نهاية كانون الثاني. أعتقد أن العمة سميرة تأمل أن تتمكن من إقناعك بالعودة إلى المدينة والبقاء في عملك معها».

«لن أفعل هذا. إنني أنتمي إلى القرية».

«حسناً، إنها ستخبرك في الأسبوع القادم عندما تقرران ما يجب عمله. إنها ستأسف لفقدك».

«إنني سآسف أيضاً. إن هذا يعني أنه يجب عليّ البحث عن عمل آخر في نهاية كانون الثاني».

لكنها لم تكن نهاية العمل الممتع هي التي أعطت دلال شعوراً بالوحشة؛ لكنها كانت المعرفة أنه، بعد كانون الثاني، حياتها لن تكون سعيدة برؤية داوود كل يوم.



في فراشها تلك الليلة، واجهت لأول مرة اليأس في عاطفتها حيال داوود. بالنسبة إليه، ذلك الشيء الأساسي كان ناقصاً وهو الذي وجده في فاتن. والذي قد يجده ثانية في مكان ما، لكن ليس فيها. فقط هي لا تجذبه بتلك الطريقة. لماذا، هي اعتقدت بيأس، كانت الأمور منحرفة هكذا؟ لقد وجدها ماجد جذابة؛ وهي لا تستطيع أن تخفي نفسها عن ذلك طويلاً. لكنها لا تستطيع أن تميل بعاطفتها نحو ماجد بتلك الطريقة. إنها تكن عاطفة لداوود وهو لا يستطيع أن يكن لها عاطفة بتلك الطريقة. إنها كانت أشبه بلعبة مجنونة. إن لديها صورة عقلية لداوود، ونفسها وماجد في إضبارة واحدة، تجري الواحدة بعد الأخرى وبدون أن تلتقطها، تعرف فقط الألم والإجهاد والإحباط للقلوب التي كانت خائبة الأمل. ربما، في الأعماق، لا يزال داوود يكن عاطفة لفاتن، وإذا كان الأمر كذلك، فإن الزمن وفاتن سيجتمعان معاً.

# الفصل الخامس

«أنا آسفة لا أستطيع أن أرغمك، يا دلال، لكنني أفهم تماماً. أنني سأفتقدك كثيراً. آمل أن تأتي لرؤيتي عندما تكونين في المدينة»، قالت سميرة.

«سأفعل. متى ستنتقلين، يا سميرة؟».

«سنكون هنا إلى ما بعد العيد. ثم ستذهب جمانة لتقيم مع صديقة بحيث تستطيع ترتيب بعض الديكور والستائر الجديدة للبيت. لن ننتقل قبل نهاية كانون الثاني. إن الزيارة إلى الشمال كانت خيبة أمل لك، يا عزيزتي، وأريد أن أعاملك معاملة خاصة قبل أن نفترق. هل يمكنك الحضور إلى قرية في جبال الألب الفرنسية معي لمدة أسبوعين في كانون الثاني قبل أن أنضم إلى جمانة؟ يمكنك الاستمتاع بالرياضة الشتوية، وأنا يمكنني أن أجد مادة جديدة لكتابي الجديد. قد نقوم ببعض العمل، لكنك ستكونين حرة معظم الوقت. إنه مكان جيد للتزلج، على ما أعتقد».

«إنه ليسعدني الحضور، يا سميرة. أشكرك على التفكير به. أين تقع تلك القرية؟ إنني أعرف جبال الألب



الفرنسية جيداً. لقد اعتدت على الذهاب إلى هناك لرياضة الشتاء مع أخي».

«على بعد بضعة أميال من شامونيكس. تدعى فانيه. لقد ذكرتها لي صديقة. لقد كانت هناك مرات عديدة، وتفضل الفندق».

«إنني أتذكرها. نحن عادة كنا نقيم في شامونيكس. إنها جزء عظيم من شافوي»، قالت دلال، وهي فرحة لفكرة عودتها إلى المكان الذي كانت فيه سعيدة مع شقيقها طلال. ربما هذه هي الاستراحة التي تحتاجها لتحرير نفسها من قبضة داوود عليها.

«إذن سأتخذ الترتيبات على الفور. على كل حال، نحن الآن في كانون الأول. أتمنى أن أستطيع ضبط الوقت».

وصل داوود إلى البيت باكراً، في الوقت الذي كانت فيه دلال على وشك أن تغادر.

«أهلاً. لا تقل لي أن الأشياء كاسدة»، قالت دلال.

«على العكس. إن المشاكل متراكمة في المصنع. سأذهب إلى هناك».

«الليلة؟».

«نعم. فور انتهاء من حزم أمتعتي».

«هل يمكنني أن أحضر لك شيئاً تأكله قبل أن تذهب؟».

«لا أستطيع أن أقول لا لكوب من الشاي. سأعطش في مكان ما على الطريق».

عندما نزل، كان يحمل حقيبتين وبدا كأنه سيغيب شهراً. بعد أن وضعهما في صندوق السيارة، انضم إليها في غرفة الجلوس. كانت النار على وشك أن تخمد، لكنها أضافت إليها بعض الحطب.

«لقد أخبرتني العمة سميرة أنها ستأخذك لرياضة الشتاء في كانون الثاني».

«نعم. أليس هذا جميلاً؟ هذا لطف منها».

«من المؤسف أنك لا تستطيعين أخذ صديقك. عندئذ يمكنك الاستمتاع أكثر برفقة شاب».

«صديقي؟».

«لا تندهشي. لقد أخبرتني والدتك أنك والشاب ماجد تخرجان معاً بانتظام، وكما يقولون هنا، هذا نوع من الخطوبة في الأفق».

«يبدو أنك أسأت فهمها».

«لا أعتقد. إنه شاب لطيف. والدتك مسرورة جداً لذلك، ولماذا لا؟».



«لأن ماجد وأنا صديقان، لكن ليس هناك أكثر من ذلك، ولن يكون. الوالدة فقط غارقة في بحر الأماني».

«اهدائي. أنا آسف إذا كنت قد دست على القمح».

«لا. إنني فقط أتمنى على الناس أن يدعوني أقرر شؤوني الخاصة، هذا كل شيء، وأن لا يباشروا بتداول الشائعات الزائفة».

«حسناً. أنت تعرفين كيفية العيش في هذه الأماكن الريفية»، قال بخبث، وكان عليها أن تضحك.

«حسناً. لا تكرر ما قلته لك في ذلك اليوم. إنني أعرف ذلك. يبدو أن الوالدة قد ركزت قلبها على ماجد كصهر. لست أدري السبب. إنها لم تتدخل في حياتي من قبل. ولم تكن مهتمة بأصدقائي. لست أدري ما هو مرامها».

نظر إليها لحظة، ثم وقف وقال بمرح: «يجب أن أكون في طريقي».

ذهبت إلى الباب لتودعه، معتقدة أنه عندما خرج، كأن جزءاً منها قد انفصل عنها. بدا أنه تردد لحظة عند باب السيارة، ونظر إليها. ثم خلع قفازيه، ولوح لها ودخل سيارته. وفجأة، خدعتها الذكريات، وسرعان ما كانت في الماضي. لقد لوح لها طلال هكذا عندما دخل إلى سيارته في رحلته الأخيرة. وبدون تفكير، أسرعت نحو داوود وهو يدير محرك السيارة، ففتح النافذة.

«أتمنى لك رحلة سالمة. وانتبه لنفسك، يا داوود».

«سأبذل جهدي».

وقفت تراقب السيارة، ولم تعد للبيت إلا بعد أن غاب عن مسامعها صوت المحرك. شعرت بوحشة باردة غريبة حولها كغمامة شتاء...

في ذلك المساء حضر ماجد وهو يحمل وشاحاً حريرياً للرأس كانت قد تركته في جيبه عندما خرجا يتمشيان يوم الأحد الماضي. في ذلك المشوار، بذلت كل مهارتها لإبقاء الجو خفيفاً، لتمنع ماجد من قول شيء لا تتمنى سماعه. عندما رأته يقف عند الباب في تلك الأمسية، عرفت بأنهما سيكونان لوحدهما، لأن جديها ذهبا إلى اجتماع جمعية البستنة، وعرفت أنها لا تستطيع أن تضع العصي في الدواليب لفترة أطول. أمضت أكبر قدر ممكن من الوقت في إعداد القهوة. شرب قهوته بسرعة ووضع كوبه قائلاً بحزم: «هناك شيء أود أن أطلبه منك، يا دلال. أنت تعلمين ما هو، على ما أعتقد، ولا أستطيع أن أخفيه طويلاً. إنني أكن لك عاطفة قوية. إنني أريد الزواج منك. هل تقبلين؟».

«أوه، يا ماجد، أنا لا أريدك أن تشعر هكذا».

«أعلم»، قال بهدوء. «أنا لست أعمى. إنك تحاولين خداعي لأسابيع. لقد كنت أقول لنفسي ربما لأنك غير مستعدة للزواج بعد. لكنني لا أستطيع أن أخفي مشاعري



طويلاً. أريد أن أعرف، حتى ولو لم تكوني راغبة في أن تربطي نفسك. إنني على استعداد للانتظار. نحن نسير سيراً حسناً مع بعضنا. لدينا أشياء كثيرة مشتركة».

«لكنني لا أكن لك عاطفة، يا ماجد. يجب أن أكون أمينة معك. إنني مولعة جداً بك، لكن لا أكثر ولا أقل من ذلك».

«إن تلك المشاعر قد تنمو أكثر من ذلك».

«لا، يا ماجد. أكره أن أقول هذا. لكنها يمكن أن تكون صداقة، إلى الأبد».

«هل هناك شخص آخر؟».

ترددت دلال، ثم قررت أنه مدين لها بالحقيقة.

«نعم».

صمت لحظة، ثم قال ببطء: «لقد عرفت. هل أنت متأكدة؟».

«متأكدة تماماً»، قالت دلال بثبات، وقد تألم قلبها للتعاسة التي ظهرت على وجهه.

«حسناً، لا أستطيع أن أقول بأنني آمل أن تكوني سعيدة مع رجل آخر، لكنني أعتقد أنه يجب علي أن أفعل».

«لم يحدث شيء بعد. إنه لا يشعر مثلي».

نظر ماجد إليها بسرعة. «إذن هو أحمق. لكن يا دلال، إذا لم تكن هناك فرصة في هذه الحالة هل يمكنني أن

أشعر بالأمل؟ بكل تأكيد أنت لن تضيعي حياتك لأنك تكنين عاطفة لرجل لا يكنها لك».

«أنا آسفة، يا ماجد. إنني لا أستطيع أن أرى الأمور هكذا».

«حسناً، دعينا نترك الأمور تصنّف نفسها. لن أزعجك ثانية لفترة. إنك قد تشعرين بطريقة مختلفة فيما بعد. إنني على استعداد للانتظار».

«يكون من الأفضل لك أن تبحث عن فتاة أخرى. من فضلك صدقني».

«لا. انسي الموضوع الآن. الأمور يمكن أن تظل كما كانت بيننا. أعتقد أنه داوود. إنه الشخص الوحيد الذي يمكن أن يكون».

«نعم. وأفضل أن لا تذكره ثانية».

«لا أعتقد أن باستطاعتك أن تغيري الكثير فيه، يا عزيزتي. وأنا أستطيع أن أمنحك الكثير».

«لا تعتقد أنني لن أغير مشاعري إذا استطعت، يا ماجد. فقط أنا لا أستطيع. هذا كل شيء».

«حسناً. دعينا نستريح الآن». سحب سيجارته. «لقد كان جميلاً من والدتك أن تدعونا على العيد».

«هل فعلت؟ لم أكن أدري».



«نعم. يوم السبت عندما كانت في المشتل. هل أخبرتك؟ لم نستطع القبول، لأننا اتخذنا الترتيبات للذهاب عند عائلة الوالدة. حاولت التملص منها، لكنني رأيت أن الوالدة ستنزعج إذا لم أذهب، ومع ذلك فإنني سأقضي العيد معك في المدينة».

أخفت دلال غضبها من تحركات والدتها، وحولت الحديث إلى الموضوع الأكثر أمناً، وسرعان ما عاد جداها إلى البيت.

بعد مغادرة ماجد، سألت جدتها إذا كان موضوع العيد قد تمت مناقشته معهما.

«لقد سألت والدتك إذا كانت هي ووالدك سيقضيان العيد هنا، لكنها لم تكن متأكدة كيف سيكون وضعهما. لقد اعتقدت أن والدك يريد قضاء العيد في البيت. قالت بأنها ستخبرني عندما يعود في نهاية الأسبوع القادم.

«لقد فهمت. إن الوالدة لم تذكر لي ذلك، لكنها يجب أن تكون متأكدة من البقاء في البيت لأنها دعت عائلة رؤوف على العيد هناك. لم يستطيعوا قبول دعوتها، لأنهم مرتبطون للذهاب إلى منزل جدة ماجد. إن أول ما سمعته عن الموضوع كان عندما حضر ماجد إلى هنا الليلة.

نظرت لمياء إلى وجه حفيدتها الذي احمرّ وقالت بهدوء: «يمكنك التحدث في الموضوع مع والدتك نهاية

الأسبوع القادم، يا عزيزتي. من الطبيعي، إننا نحب أن تكونوا جميعكم هنا، لكن إذا كان والدك يريد البقاء في البيت، أعتقد أن الواجب يقتضي بأن تكوني معهما في العيد».

«أعتقد ذلك»، قالت دلال بدون حماس.

عندما حضرت رباب إلى القرية في نهاية الأسبوع، كانت أكثر تصميماً من قبل بأنه يجب على دلال أن تكون صلة الوصل بينها وبين عائلة ماجد، وأنها يجب أن تعالج من أية أفكار حمقاء تتعلق بداوود. لقد كانت تفكر بسعادة دلال، وفي نفس الوقت بأن يكون لها مكان في الشمس، هكذا قالت لنفسها.

دلال، قلقة للتغلب على التجربة المريرة، دخلت إلى غرفة نوم رباب في ذلك المساء قبل العشاء. كانت والدتها أمام المرآة تضع اللمسات الأخيرة لشعرها.

«يا أماه، أريد التحدث معك قليلاً».

«بالطبع، يا عزيزتي. هيّا».

«لماذا دعوت ماجد ووالديه على العيد دون أن تذكري لي شيئاً في البداية؟».

«حسناً، إن والد ماجد صديق قديم لي، كما تعلمين»، قالت رباب بجفاء.

«نعم، لكن ماجد كصديقي، وبسبب ماجد دعوتهم،



أعتقد أنه كان يتوجب عليك أن تخبريني أولاً. لقد حدث مثل هذا الشيء من قبل. تقفزين دائماً فوقي».

«لكنني لم أقفز فوقك. إنهم لا يستطيعون الحضور، وهكذا لا حاجة لإثارة الموضوع».

«حسناً، اعتقد أنه يجب أن تعلمي أن ماجد قد طلب الزواج مني وأنا رفضت».

«فهمت»، قالت رباب بعناية. «حسناً، إنه قد يلاحقك لتغيري رأيك يوماً ما».

«لا، لن يفعل. أعتقد أنها ستكون نوعاً من الوحشية لو شجعتيه على الوقوف في طريقي بأية طريقة، يا أماه».

«يا طفلتي العزيزة، لا تتوقعي مني أن أصدق أن أية فتاة شابة غير خبيرة مثلك غير قادرة على تغيير رأيها. أنتما مولعان ببعضكما. سيأتي الوقت لتتوقفي عن مطاردة فكرة عاطفية براقة وتشاهدي القيمة الحقيقية لشاب معتمد مثل ماجد».

«إنني أرى قيمته الحقيقية. ولهذا السبب لا أريد أن أتركه معلقاً وأخدعه للاعتقاد بأنني سأغير قراري».

«أوه، أنت صغيرة»، قالت رباب، بحنق. «يبدو أن قرارك هذا نهائي! أعتقد أن داوود هو الذي سحرك، فاطردي هذه الأفكار السخيفة من رأسك».

«يمكنك أن تعرفي الحقيقة، إذ لربما توقفت عن تضليل ماجد. نعم، إنني أكن عاطفة لداوود».

وضعت رباب المشط واستدارت لتواجه ابنتها.

«وهل تعتقدين حقاً أنه من ذلك النوع من الرجال الذي يستطيع أن يسعدك؟».

«إذا كان يكن لي عاطفة، فإنني سأكون أسعد فتاة في الوجود. لكنه لا يكن لي عاطفة. وأعتقد أنه لا مستقبل لي معه، لكن هذا لن يغير الحقيقة بأنني أكن له عاطفة ولا أستطيع الزواج من ماجد».

«يا عزيزتي. أنت مسحورة بالجاذبية السطحية لداوود، ولا تعرفين شيئاً عن الخفايا. أنا أستطيع أن أفهم ذلك. ذلك النوع القوي لديه جاذبية للنساء. إنه مثير للعواطف بطرق عديدة. إنه يترك أثراً في كل مجموعة. لكن هل فكرت لحظة كيف سيكون شكل مثل هذا الرجل لكي تعيشي معه؟ مجازف، مغامر، متخبط في حياته،- يريد زوجة للحظات الغريبة التي يوفرها. هل أنت مقتنعة لتلعبي دور وسادة ولا يهمك كشخص؟ يجب أن تشكري ربك لأنه لا يريد الزواج منك. لديك فرصة للنجاة».

«لكن، يا أماه، أنت لا تعرفين داوود. لقد قابلته مرتين أو ثلاث. الناس ليسوا أنواعاً. إنهم أفراد. داوود من النوع الذي يسهل معرفته. هو لا يرتدي قلبه في كمّه».



«هل أنت متأكدة بأن لديه قلباً؟» قالت رباب بصوت جاف.. «أنت لا تعتقدين هكذا في البداية».

«لقد عرفته بصورة أفضل. حتى الآن، لا أعرفه كفاية. أعترف بذلك. لكنه ليس من النوع البارد الذي تعتقدينه. أعتقد أن مشاعره في الأعماق، ليست قليلة».

«حسناً، إنني أعرف أكثر منك عن الزواج، يا عزيزتي، وصدقيني، إن أية امرأة ستكون أكثر سعادة مع ماجد من داوود. ولا تقولي لي أنك تكنين عاطفة لشخص ولا تكنينها للآخر. إنها مولعة بماجد، وتسيران معاً سيراً حسناً. هذا هو المهم. اكبري يا دلال، وتوقفي عن السلوك كالأطفال. إنني بكل تأكيد لن أثبط من عزيمة ماجد. إنني فقط آمل منه أن يصبر ولا ييأس، هذا كل شيء».

«لكن. . .».

«لن أقول أية كلمة أخرى حول هذا الموضوع. لقد بذلت قصارى جهدي، على ضوء خبرتي، لأعيدك إلى وعيك، أعتقد أنك ستعودين إلى وعيك، في الوقت المناسب. في نفس الوقت، لا جدوى من إطالة النقاش. سأنزل لتناول العشاء».

في صبيحةِ اليوم التالي، في المشتل، وجدت دلال السيد رؤوف في أحد البيوت الزجاجية. كان يسقي بعض الأزهار، فابتسم عندما رأى دلال. لقد أصبحت تميل لهذا الرجل الهادىء، اللطيف، وتأملت أن يفهمها.

«هل أستطيع أن أحدثك قليلاً، يا سيد رؤوف؟».

«بالطبع. هيّا».

«نظراً لأن موسم العمل قد شارف على الانتهاء، وقد قلت أنك بحاجة لمساعدة إضافية في المكتب قبل الربيع، أعتقد بأنه قد حان الوقت لي لكي أترك».

وضع المرشة ووقف.

«لقد كان جميلاً منك أن تعطينا من وقتك، يا عزيزتي».

«لقد استمتعت هنا أيام السبت، لكنني سأفتش عن عمل جديد بعد العيد، عندما تسافر سميرة إلى المدينة. إنني قد أعمل في صبيحة أيام السبت، وعلى أي حال، أعتقد أنني أحب أن يكون عندي فراغ أكثر في نهاية كل أسبوع».

«إنني أفهمك جيداً، وأشكرك كثيراً على رؤيتك لنا خلال الأشهر الماضية».

«هل يزعجك لو غادرت الآن؟».

«نعم. أنت لا ترغبين في العمل وقتاً كاملاً كموظفة بدلاً من إحضار شخص آخر؟».

«لا، سأستمر في أعمال السكرتارية. لقد تدربت على ذلك».

«إن ماجد سيحب هذا. أعتقد أنك لم تخبريه بعد».



«لا»، قالت بتعاسة. «لكنني أعتقد أن هذا أفضل».

«إنني أفهم. أنا آسف جداً، يا دلال».

«وأنا كذلك. لقد كنت لطيفاً جداً معي. أود لو أن الأمور كانت مختلفة».

وضع يده على كتفها، ثم قال بصوت لطيف جداً: «أعتقد هكذا. لقد بقيت أدلي بخيط لبعض الوقت عندما كنت شاباً. لم تكن تجربة سعيدة. أنت فتاة أمينة، يا دلال. وان لا تقلقي على ماجد. إنه شاب ومتفهم».

عادت ببطء إلى المكتب، وشعرت بالارتياح لإبعاد ماجد عن التسليم وهكذا فإنها لن تواجهه في ذلك الصباح.

عندما عادت إلى القرية، ذهبت تبحث عن جدها في الحديقة. لقد كان هو الشخص الوحيد الذي يستمع إليها ويريحها ويسدي لها النصح عندما تكون في ورطة. وجدته يربط وردة متسلقة إلى العريشة.

«إنه يوم دافيء كالربيع في الشمس»، قال لها. «دعينا نجلس لبضع دقائق ونستمتع به».

جلسا على مقعد خشبي يراقبان الطائر الأسود يحفر في المرجة، منقاره البرتقالي يطعن التربة الناعمة بلا رحمة.

«لقد تركت عملي في المشتل، يا جدي. ليس هناك الكثير ليعمل حتى الربيع، والسيد داوود سيستأجر مساعداً

لوقت كامل حتى ذلك الحين. لقد بدا أنه الوقت المناسب لترك العمل».

«قرار مفاجيء، أليس كذلك؟».

«نعم، أرجو أن أكون على حق. كما تعلم، ماجد يريدني أن أتزوج منه وأنا لا أستطيع. الوالدة لا تريد الاعتراف بأنني أعرف وهي تشجعه ليعتقد أنها مسألة وقت. اعتقدت بأنني يجب أن أضع الأمور في نصابها. إنها ستغضب كثيراً. إنني أجد الأمر محيّراً. هذا الحماس المفاجيء لتزويجي من ماجد. إنه لا يمكن أن يكون فقط لأنها تكره داوود وتخاف أن أجعل من نفسي حمقاء».

«ولماذا هي تكره داوود؟ إنها قلما تعرفه».

«هذا ما قلته لها، لكنها تعتقد بأنها تعرفه. الأمر يبدو غامضا، لكنها عندما تتحدث عن داوود، هي حقيقة تتحدث عن الوالد. هذا جنون. ليس هناك من شبه مطلقاً، لكنها تستمر في وصف حياتها مع الوالد كأنه سيكون قدري مع رجل مثل داوود. إنها لا تدري ماذا تقول، يا جدي. يبدو أنني لم أعد أعرفها في هذه الأيام».

«حسناً، يا عزيزتي، منتصف العمر قد يكون خداعاً. هناك ميل كبير للنظر إلى الوراء لأيام شبابك وأن تشعري بالرغبة لإحيائه من جديد. هذا ضلال. أن تجربتك في الحياة تقررها شخصيتك».

أخذ ذراعها وهما يسيران معاً في الحديقة. وجدا لمياء



تضع أطباق الغداء، وهي حانقة لأن رباب تأخرت. الأخيرة جاءت إلى حيث كانوا يجلسون، ودخلت إلى غرفة الطعام بعد بضع دقائق وهي تبدو سعيدة.

«آسفة، يا أماه. لقد عرجت على كشك السجائر لشراء بعض السجائر. السيدة بشرى كان لديها نبأ غير متوقع. سيهمك أن تعرفيه، يا دلال».

«ما هو؟» سألت دلال.

«صديقك داوود، تزوج بالأمس»، قالت رباب بانتصار.

شحب وجه دلال.

«هل أنت متأكدة، يا رباب؟» سأل والدها. «لا أستطيع أن أصدق ذلك. لم يكن هناك أي اقتراح حول الموضوع، وبكل تأكيد فإن عمتيه كانتا قد عرفتا وذكرتا ذلك لدلال».

«ربما إشاعة قرية»، قالت لمياء.

«لا. إن ابنة بشرى كانت تقيم في المدينة مع عمتها لعدة أيام. لقد عادت الليلة الماضية. وقد رأت داوود يمسك بذراع عروسته والصور تلتقط لهما. كانت ابنتها ذاهبة لتتسوق هناك عندما كان العريس وعروسته يخرجان من قاعة الحفلة.

«ربما كان شخصاً يشبه رؤوف»، قالت لمياء.

«لا. لقد كانت ابنتها متأكدة. على كل حال داوود يذهب هناك كل أسبوع ليدفع فاتورة جرائده ويحصل على

التبغ لغليونه. إذن ما هو رأيك بحصاننا الأسود، يا دلال؟».

«حسناً أنا، بالنسبة لي، لا أصدق هذا»، قالت لمياء ببرود. «لقد سمعت قصصاً كثيرة في القرية. ثم لماذا يبقي مثل هذا الأمر سراً؟».

«ربما»، قالت دلال بهدوء. «كما تعلمين، لقد كان خاطباً مرة لفتاة خدعته وهربت في اللحظة الأخيرة مع رجل آخر. إنني لم أذكر هذا لأن داوود يكره أن يعرف أحد بذلك. لقد عادت الفتاة في الصيف الماضي وحاولت إصلاح ذات البين. داوود بدا غير مكترث، لكن يبدو أن الأمور قد تبدلت. أعتقد أن من الأفضل أن نبقي موضوع الزفاف سراً. هل ابنتها وصفت لك العروس؟ هذه الفتاة جميلة بشكل غير معقول».

«قالت إنها فتاة جميلة جداً».

«فهمت. هكذا إذن»، قالت دلال. أخذت تتذكر كم كان سعيداً عندما غادر. الطريقة التي تردد فيها في آخر لحظة كأنه يريد أن يقول لها شيئاً ما، والحقيبتان كانتا تحتويان على أكثر مما يحتاجه في رحلة عمل قصيرة. وهو بالطبع فضّل أن يبقي الأمر سراً، كيلا يلوك أصدقاؤه ومعارفه القصة القديمة ويبتسمون للعريس الذي خدع مرة، والذي كان ينتظر دوره بفارغ الصبر.

حدقت في طبقها. استمرت في الأكل، لكن طعامها



يبدو أنه لا يريد أن ينقص. كانت والدتها تقول شيئاً عن ماجد. لأول مرة، جدتها لم تعلق عندما رفعت طبق دلال ومعظم الطعام ما زال فيه. وبأسرع ما استطاعت، هربت دلال.

«إن بعد الظهر جميل، سأذهب بالدراجة، يا جدتي»، قالت لها.

«حسناً، يا عزيزتي. حاذري».

نظرت رباب إلى وجه ابنتها بقلق. لقد كان غريباً وشاحباً. لقد كان وجه دلال دائماً معبراً وحيوياً.

وعندما أغلق الباب خلفها، قال سليم بهدوء: «أليست تلك طريقة وحشية لإعلان النبأ لها، يا رباب؟».

«حسناً، كانت ستسمعه في القرية قريباً. إنني مسرورة لأن هذا حدث. إنه سيعيدها إلى صوابها. أنت تعلم بأنها كانت مفتونة بذلك الرجل؟».

«لقد علمت اليوم فقط بأنها تكن له عاطفة. دلال لا تثرثر حول الأشياء التي تذهب عميقاً معها».

«لقد كان سيؤدي إلى كارثة. على كل حال، هي عرفت أنه بدون أمل. لقد أخبرتني هكذا. هذا يجعل سلوكها أحمقاً».

«ليست هناك من فتاة غارقة في العاطفة تؤمن بأنه لا

أمل هناك طالما الرجل بقي موجوداً وعازباً»، قالت لمياء بحدة. «وأنت تعرفين ذلك».

«حسناً، أعتقد أنكم تخلقون مشكلة من لا شيء. إنها فتاة حمقاء ركبت رأسها وركضت وراء رجل يكبرها بسنوات، رجل غير مناسب لها، وغير مهتم بها على أي حال. مما لا شك فيه أنها ستبكي قليلاً، وفي بضعة أسابيع ستجد عزاءها في ماجد»، قالت رباب.

«إنه لن يكون ماجد»، قالت لمياء بحزم.

«إذن سيكون شاباً آخر»، قالت رباب بحنق. «أي شخص سيعتقد بأن هذه هي نهاية العالم بالنسبة لدلال، وأنها مأساة، بدلاً من اعتبارها حداً عابراً مع الشباب، على كل حال».

صعدت إلى غرفتها وجلست على مقعد النافذة، تنفض بعصبية رماد سيجارتها خارج النافذة، غاضبة، قلقة، وتحاول أن تنسى وجه دلال الشاحب، المتألم.

دلال لم تحضر في موعد الشاي، وقد تناولوا الشاي بدونها.

«إنه ليس من عادتها التأخر بعد الظلام»، قال سليم بقلق، وهو يذهب إلى النافذة للمرة الثالثة، معتقداً بأنه سمع شيئاً ما.

«لديها أضواء قوية على دراجتها، أليس كذلك؟» سألت رباب.



«نعم. إنها كثيراً ما تعود إلى البيت على الدراجة في الظلام. لقد جعلتها تضع أضواء جيدة. ربما ضاعت. أو أنها لم تحفظ الطريق الذي سلكته، رغم أنها تعرف الريف هنا مثلما تعرف ظهر راحتها».

«اجلس وأكمل الشاي، يا عزيزي»، قالت لمياء.

لكنه كان ثائراً، وسرعان ما قررت رباب أن تذهب بالسيارة عبر الأزقة.

«ربما ثقب دولابها»، قالت وهي خارجة، «وهي الآن قادمة سيراً على الأقدام».

بعد ذهابها، التفتت لمياء نحو زوجها. «إنني قلقة، يا سليم. ليس من عادة دلال أن تتأخر هكذا دون أن تعلمنا. كان بإمكانها العثور على هاتف في مكان ما وإعلامنا أن ثقباً قد أصاب الدولاب».

«نعم، لكن من المحتمل أنها ظلت سائرة على دراجتها دون أن تدرك إلى أين هي ذاهبة».

كانت قد مضت ساعة تقريباً قبل أن تعود رباب.

«هل حضرت؟» سألت، لكنها عرفت من وجهيهما أنها لم تحضر. «لقد مشطت كل الأزقة هنا. لا يمكن التفكير بأنها قد زارت أحداً هنا؟».

«لا أعتقد أنها كانت في حالة طبيعية»، قالت لمياء.

«لا. سأخرج ثانية فيما بعد»، قالت رباب.

في المرة الثانية، ذهب والدها معها. سارت رباب ببطء، وغطت عدة أميال، دون أن ترى دراجة. وفيما كانا يعبران الأزقة، كانت رباب تتطلع من ناحية، وسليم يتطلع من ناحية أخرى. دقت الساعة العاشرة فقالت رباب: «إنها ليست في هذا المحيط. لا يمكننا أن نفقدها. ربما وقع معها حادث».

«في تلك الحالة من المحتمل أن تكون والدك قد علمت عن طريق الشرطة في هذا الوقت. إذا لم تكن هناك أخبار، سأتصل بالشرطة وأبلّغ عن فقدها».

«أوه، لا!» قالت رباب. «لقد كانت الشرطة هي التي أعلمتنا بحادث طلال».

«لا تهلعي الآن. قد يكون هناك خبراً ما. ربما اتصلت دلال بنفسها».

لكن لم تكن هناك أخبار عندما عادا. بدت لمياء شاحبة ومنهكة، وذهبت لتعد لهما بعض القهوة فيما كان سليم يتصل بالشرطة. حضر شرطيان بعد قليل وأخذا التفاصيل.

في الساعات الأولى من صبيحة يوم الأحد، رباب ووالدها، خرجا يتجولان في الأزقة بسيارتها. لمياء، بقيت إلى جانب الهاتف، ولم يكن لديها خبر عندما عادا، وحاول سليم عبثاً ليجعلها تنام.

جلسوا صامتين، كل واحد منهم غارق في تفكيره



ويخاف أن يعبر عنها، عندما زحف نور النهار إلى الغرفة. عندما رن جرس الهاتف، اندفعت رباب لتجيب. وقف والداها خلفها. أعادت السماعة بيد ترتجف.

«لقد وجدت الشرطة دراجة بجانب البركة ويريدون منا الذهاب للتعرف عليها».

«أوه، لا!» صرخت لمياء.

«ليس الأمر كذلك، يا عزيزتي»، قال سليم بسرعة، ووضع ذراعه على كتفها. «مهما حدث، فإن دلال لن تخاطر بحياتها».

«بالطبع، يا والدي»، قالت رباب بصوت خافت.

ولمياء، التي كانت تصلي، قالت بلطف: «لا تفقدي صوابك، يا عزيزتي».

الدراجة كانت لدلال، والشرطة اتخذت الترتيبات لمسح البركة. عند منتصف النهار كان الخبر قد انتشر؛ ونظم سليم فرقة تنقيب للتعاون مع الشرطة في التنقيب في الغابات. استدعوا فرقة التنقيب عندما هبط الظلام، وعاد سليم إلى البيت بنبأ أن المسح لم يسفر عن شيء. كانت البركة صغيرة، وكانوا واثقين أن الجواب على اختفاء دلال لم يكن هناك.

نظرت رباب إلى والديها بإعياء. مهما حدث ما كان ليحدث لو أنها لم تعلن نبأ زفاف داوود، مما جعل ابنتها تفقد صوابها وتخرج هائمة على وجهها.

«أعتقد أنه يتوجب عليك الاتصال برؤوف، يا عزيزتي»، قال والدها.

«رؤوف؟ نعم. لست أدري أين يقيم، لكنني سأكتشف ذلك من المكتب في الصباح. إنه سيطير مساء غد».

قفزوا على طرقة الباب. أي صوت كان سينبه أعصابهم. أجابت رباب، ودخل داوود. لم ينتظر حتى يسأل، بل أمسك بذراعها وسار إلى غرفة الجلوس.

«لقد سمعت بالخبر الآن»، قال لها. «ماذا يمكنني أن أفعل؟».

«لا شيء، يا داوود»، قال سليم. «لا نستطيع عمل شيء سوى الانتظار. لقد بقينا نفتش طول النهار، وقامت الشرطة بمسح البركة حيث وجدنا الدراجة، لكن بدون نتيجة».

دق جرس الهاتف. لقد كان رؤوف يسأل عن الخبر. لبقية المساء كان داوود يتلقى المخابرات الهاتفية بكل شجاعة وهدوء. وعندما بقيا لوحدهما في نهاية المساء، سألت رباب داوود إذا كان باستطاعته البقاء في القرية لحين معرفة الأسوأ.

«إن لدينا غرفة نوم إضافية. هل يمكنك أن ترتاح فيها؟» سألته. «إنني أعلم أن لديك عملاً يجب أن تقوم به، وأنك كنت بعيداً لمدة أسبوع، لكن الإجهاد الذي



أصاب والديّ ووجودك هنا هذا المساء قد ساعدهما كثيراً».

«بالطبع سأقيم إذا أردت. سأحضر حقيبتي. لا يهمني العمل أو أي شيء آخر، ويسرني أن أقدم أية خدمة ممكنة. إنك ستسعدين إذا كان باستطاعة زوجك الحضور إلى هنا. هل تريدن أن أحاول التفتيش عنه الليلة؟ هناك وسائل عدة لو أعطيتني أسماء زملائه من المديرين، فلا بد أن واحداً منهم يعرف أين يقيم».

«أشكرك»، قالت وهي تعطيه المعلومات.

لقد كان عملاً ساخراً، اعتقدت وهو يقوم باتصالاته الهاتفية، إذا كان يفكر أن زوجها سيريحها. لا راحة لديها في أي مكان. أقلها من رؤوف. كانت تحاول جاهدة أن تتمالك أعصابها. في الوقت الذي انضم والداها إليهما ببعض القهوة والساندويشات على صينية، تمكنت رباب من تمالك أعصابها ثانية.

اقتنعت رباب بأنه لم يعد هناك من أمل في تلقي أخباراً سارة.

«هل وصل زوجك؟».

«لا. لقد اتصل. الطائرة توقفت في هامبورغ بسبب الضباب. سيحضر بأقصى ما يستطيع».

«أنا آسف».

هزت رباب رأسها. لم يعد الأمر هاماً. قفزت عندما رن جرس الهاتف، لكنها وقفت تنظر بإعياء، كأنها مشلولة. تلقى داوود المخابرة عندما دخلت لمياء وسليم إلى القاعة. وقفا هناك، متوترين، ينتظران النبأ الذي سيجلب الخراب والدمار لهم جميعاً. خوف بارد سرى في أوصالهم، وبدا أن الزمن قد توقف. ثم استدار داوود نحوهم، ووجهه يشع.

«لقد عثرت عليها الشرطة. إنها سالمة وبصحة جيدة. إنهم سيحضرونها إلى البيت».



## الفصل السادس

عندما أدخل الشرطيان دلال، وقفت تحدث فيهم عند المدخل، وجهها شاحب كالطباشير ما عدا كدمة عبر جبهتها، وبعض العلامات الوسخة عبر فمها، شعرها منفوش ومعطفها ممزق وموحل. للحظة، لم يستطع أحد أن يتكلم فيما كانت عيناها تجولان من أحدهم إلى الآخر. ثم امتدت يدها نحو داوود الذي كان إلى جانبها وتمسكت بيده بحزم وهي تقول والرعشة في صوتها:

«أنا آسفة لكل هذا القلق الذي سببته لك».

ثم ترنحت، وأمسكها داوود وأرشدها نحو ذراعي جدتها. منذ تلك اللحظة، شحنت لمياء بالحياة، وتولت القيادة.

«سآخذها إلى الفراش. بعض زجاجات الماء الساخن والحليب الساخن، يا رباب. اتصل بالدكتور رياض، يا سليم. وتخلص من تلك الثياب المبللة، يا داوود».

إلى سليم وداوود روى الشرطيان القصة.

«كانت في خيمة تراكتور فارغة تعود لمزرعة جميل، مربوطة وملصقة على فمها لِكَمِّها. كانت هناك سرقة لمحل المجوهرات في أوكسفوريوم السبت. الرجل هرب في سيارة مسروقة. هرب من الدورية نحو الزقاق. نعتقد أنه كان على موعد مع صديقة عند

الزقاق. عندما شاهد الفتاة على الدراجة، رأى فرصة للذهاب إلى موعده. دار خلفها بالسيارة وصدمها من على الدراجة. لم تستطع رؤيته. وضع كيساً على رأسها وجرها إلى الخيمة وكان الظلام مخيماً. ثم ربطها وحزمها داخل الخيمة، واستعار الدراجة للوصول إلى موعده. تركها خلف الشجيرات بجانب البركة واتصل بصديقته التي كانت تنتظره في سيارة. هكذا تخيلنا القصة، على أي حال».

«هل قبضتم على الرجل؟».

«كلا. لدينا فكرة صاقبة من يكون. ألقينا القبض على صديقته، لكنها لم تتكلم كثيراً. من المؤسف أن الفتاة لم تشاهد الرجل. كخائفة فإنه لا جدوى من تعرفها عليه. إننا سنحتاج إلى تقرير منها غداً، يا سيدي. لا نريد إزعاجها كثيراً الليلة. إنها تجربة قذرة لفتاة شابة. إن الرقيب سيحضر في الصباح».

«لقد لاحقنا القضية بسرعة»، قال الشرطي الآخر، «لكن المعلومات عن السيارة المسروقة كانت خاطئة، ولم تكن هناك صلة بينها وبين اختفاء الفتاة إلا بعد ظهر اليوم».

غادر الشرطيان، ووصل الطبيب. في ذلك الوقت كان داوود قد نقل الخبر السار هاتفياً لكل من يعنيهم الأمر، وأكد الطبيب أنه ليس هناك من ضرر للفتاة دلال تحتاج للراحة في السرير.

«لقد أصيبت بصدمة وجرحت»، قال الطبيب لسليم. «يجب أن تكون قد قاومت بعنف. إنها لم تتعرض للاغتصاب، لكنها بقيت يومين بلياليهما بدون طعام أو ماء في خيمة التراكتور في هذا



الوقت من السنة. لحسن الحظ، كانت ملفوفة جيداً ووجدت كومة من الأكياس لتستريح عليها. قلقها الشديد كان عليكم. لا تزعجوها بالأسئلة ولو قليلاً. لقد أعطيتها منوماً. اعترضت، لكنها بحاجة إلى نوم عميق. وأنت كذلك يا سليم، كما يبدو لي من النظر إليك»، أنهى كلامه الدكتور رياض، وهو يربت على كتف صديقه.

عندما نزلت لمياء، وجدت داوود يحمل حقيبته، وهو على وشك أن يغادر.

«يجب أن تبقى وتتناول طعامك معنا، يا داوود. لدينا طعام كثير لم نأكل منه شيئاً في نهاية هذا الأسبوع. سأعد وجبة الشكر حالاً. لا، يا عزيزي. لا فائدة من الاحتجاج. لقد شاركتنا قلقنا، ويجب أن تشاركنا فرحتنا. لقد كنت صخرة من الدعم. إنني بكل تأكيد لن أسمح لك بالخروج مبللاً، بارداً وجائعاً» أنهت لمياء كلامها بحزم، لأنها كانت واثقة من أن داوود لم يتناول وجبة جيدة في البيت.

«هلاّ أسرعت إلى عملك؟».

«إنني أنظر إليك كفرد من العائلة. وإذا كنت لا تريد أن تقلقني، اصعد، وخذ حماماً ساخناً وضع عليك بعض الثياب الجافة».

«حسناً، هذا سيدع القرية تتحدث عنه طويلاً لعدة أسابيع. هذه القرية إذا لم يكن لديها أخباراً فإنها سوف تخترعها. لقد أشاعوا بأنني تزوجت يوم الجمعة الماضي. لقد سمعت النبأ

السعيد من السيدة بشرى عندما ذهبت لشراء بعض التبغ هذا الصباح. لقد دهشت لأنني لم أكن في شهر العسل. إنني آسف لأنني خيبت أملها، لكن العمل الجريء لدلال سيكون أكثر من تعويض».

«كيف يمكنها أن ترتكب مثل هذه الغلطة؟» سألت لمياء.

«حسناً، أعتقد أن الأمر واضح. صديق قديم لي تزوج يوم الجمعة، وقد كنت اشبينه. من الواضح أن ابنة بشرى كانت هناك وشاهدت الزفاف. على الأقل لقد شاهدت النتيجة. العروس والعريس غادرا. لقد كنت أتبعهما مع الإشبينة، ووالدة الإشبينة أصرت على التقاط صورة لنا قبل أن نصعد إلى السيارة. الإشبينة تعلقت بذراعي، والجميع ضحكوا، وكنت أرتدي الأبيض، أيضاً، مما أعطى انطباعاً خاطئاً للعابرين».

تجنب رباب نظرات والدتها وهي تمرر كوب القهوة. لو أن شيئاً ما حدث لدلال، اعتقدت، فإنها لن تستطيع أن تصفح عن نفسها. عندما رن جرس الهاتف بعد بضع دقائق وجدت فيه عذراً للهرب. عندما انضمت إليهم ثانية، كانت هناك ابتسامة غريبة على شفتيها.

«إنه جلال يتحدث من مطار المدينة. أخبرته أنه لا حاجة لحضوره الآن. إن لديه اجتماعاً لمجلس الإدارة غداً. لقد عدنا إلى طبيعتنا».

باحت دلال بمزيد من التفاصيل إلى داوود عندما حضر لرؤيتها في إحدى أمسيات ذلك الأسبوع.



«ما كنت تأذيت لو لم أقاومه»، قالت له، «لكنني لم أعلم أنه أراد أن يخفيني حتى يتمكن من الهرب. اعتقدت أنني أقاتل في سبيل الحياة. ارتعبت وهذا ما وهبني القوة. وكل هذه الرضوض»، أضافت بأسى.

«ألم يقل شيئاً؟».

«لا شيء. ولا كلمة. كل ما سمعته كان زمجرة وتنفساً ثقيلاً. كنت مرتعبة. لم أستطع رؤيته. فقط شعرت بيديه المخيفتين. كان قوياً، أيضاً. لقد قررت، عندما كنت راقدة في الخيمة وتمالكت أعصابي، أن أتعلم الجيدو».

«لم أحضر إلى المشهد إلا يوم الأحد، وكان هناك القليل الذي يمكنني أن أفعله. لم أكن أريد أن أقضي يوماً آخر كيوم الاثنين، أضرب أخماساً بأسداس، باحثاً عن جثة. الشاب ماجد كان معي. لا أحد منا استطاع أن يفوه بأكثر من بضع كلمات طول النهار. لقد كان واضحاً أننا جميعاً نشترك بفيلم مرعب».

«لقد كنت أفضل من أي واحد منكم، لكنني عرفت أن العائلة ستقوم بكل ما هو ضروري. لقد كنت مرتبكة. تململت داخل الكيس الذي وضعه على رأسي لكنني لم أستطع تحرير يديّ، أو نزع الملصقة عن فمي. لقد استطعت إرخاء الحبل حول كاحلاي لكنني لم أستطع نزعه. عندما حاولت أن أرمي نفسي على باب الخيمة، لم يتحرك بوصة واحدة. لقد كان مقفلاً بقضيب حديدي. أخذت أتلوى قربه ورقدت على ظهري وطرقت عليه بقدميّ، لكن لا فائدة، ولم يقترب منه أحد ليسمع.

اعتقدت بأن شخصاً ما سيفتش هناك. لكنني لم أهلع لحظة عندما حاولت أن أتذكر لم يستطيع المرء أن يعيش بدون ماء. كان لدي وقت كثير للتفكير، وأنا راقدة في الظلام، وأتتبع عبور الأيام عن طريق شق النور تحت الباب».

عندما خرج داوود، جلست رباب على السرير وقالت: «يا دلال... أريد أن أعبر لك عن مدى أسفي لإيلامك، وعن عدم تفهمي».

«حسناً»، قالت دلال بمرح. «لكنك كنت تخططين شيئاً بالنسبة لماجد، أليس كذلك؟».

«نعم»، تنهدت رباب. «نظرياً، كان الأمر يبدو جميلاً».

«أنيقاً، أنت تعنين، ذو صلة بصديقك القديم؟».

«أنيقاً هي الكلمة»، قالت رباب مبتسمة. «على كل حال، من الحماقة أن تعتقدي أنك تعرفين ما هو الأفضل بالنسبة للآخرين. لقد كنت مخطئة تماماً بالنسبة لداوود، وأنا أعترف. ليس فيه ما يسيء. إنه فقط لا يضع قلبه في كمّه، هذا كل شيء. مع ذلك فهو ليس بالرجل السهل، يا عزيزتي. هل ما زلت تأملين بتلك المعجزة؟».

«إنني سعيدة في هذه اللحظة بقبول ما عندي: صداقته. وأنا أعتقد حقاً بأنه قد حرّر نفسه من تلك الفتاة التي خدعته. أنا لم أحدثك عن فاتن. إنها أجمل فتاة رأيتها. اعتقدت بأنها ستتمكن من استعادته في النهاية. أنا ما زلت غير متأكدة تماماً، لكنني أكثر أملاً من قبل».



«حسناً، يا عزيزتي، لقد فقدت الثقة بألفاظي. فقط حافظي على اعلامي بكل جديد. سأعود إلى البيت غداً. يجب أن أذهب عند الكوافير، وإلا فسيعتقد والدك أنني أهملته».

كان الطقس جميلاً بالنسبة لإجازة جبال الألب: الشمس مشرقة في معظم الأيام، والثلج خفيف. بعد ثلاثة أيام من التدرب على منحدرات القرية، اقترح داوود قضاء يوم في الجبال.

«أنت متزلجة ماهرة، وستجدين التزلج في الجبال أكثر متعة من التزلج على المنحدرات بين الناس»، قال لدلال.

«تبدو فكرة عظيمة. هل هذا ما كنت تفعله في الماضي عندما تأتي إلى هنا؟».

«نعم. صديقي السيد لبيب، الذي تزوج مؤخراً، هو متزلج ماهر ويعرف هذه الجبال مثلما يعرف ظهر راحته. لقد أمضينا إجازات ممتعة معاً هنا».

كان جالسين يتناولان المقبلات على شرفة الفندق، بعد أن تزلجا طول الصباح. المشهد أمامهما كان يغص بالمتزلجين المهرة على المنحدرات الصعبة. بالألوان المختلفة للقبعات، والمعاطف والكنزات تحت أشعة الشمس والصورة الخلفية البيضاء، وجدت دلال فيها صورة خلابة لا نهاية لها، لكنها أحست أن داوود كان قلقاً، وكان يحس بنداء الجبال من حولهما، تنتظر من يكتشفها بكل وحدتهما الخلابة. والآن بعد أن زال التصلب واستعادت مهارتها السابقة، فقد كانت سعيدة جداً فقط

لتذهب معه. من البداية، أدركت أنه لا يرى في التزلج كنهاية، فقط كوسيلة لاكتشاف الجبال بسهولة أكبر. إذا لم يكن تزلجها جيداً كفاية، فإنه سيستمر لوحده. فرحت لأن طلال علّمها جيداً وأنها لن تترك لوحدها في المؤخرة.

كان الثلج جافاً، وطرياً، وزلاجاتهما انزلقتا بسهولة في طريق متعرج عبر غابات الصنوبر نحو المنحدرات المكشوفة. عندما خرجا من الغابات، كان منظر قمم الجبال المحيطة بالوادي عظيماً في السماء الصافية.

«إن الطريق سهل عبر هذه المنحدرات. سنتناول غداءنا هناك»، قال داوود.

علّمها الكثير في ذلك اليوم. كيف تستخدم العصاتين لتساعدانها على حفظ توازنها، وأسهل طريقة للانحدار على جليد صلب، ونوع التضاريس التي يسهل السير عليها بأمان. في الإجازات السابقة مع عائلتها، تعلمت أصول التزلج وقوانينه. والآن تعلمت كيف تطبقها كوسيلة للتنقل فوق الريف. وقد وجدت ذلك مضنياً، لكنه كان ممتعاً.

في بداية الأسبوع الثاني، بقيت دلال بعيدة عن الجبال بسبب ورم في قدمها، لكن داوود بقي معها وذهبا ليركبا زحافة في الصباح ويقضيا بعد الظهر في شامونيكس مع سميرة. في اليوم التالي، بعد زوال الورم، خرجا ثانية.

فقط في اليوم الأخير للإجازة تحولت أفكار دلال نحو فاتن وطريقة علاقتها المضطربة مع داوود. كانت تتزلج خلفه عبر



الغابات وفجأة عادت صورة فاتن إلى عقلها. للمرة الأولى خلال الإجازة الجميلة، شعرت بوخزة المجهول. كانت تتوقع حدوث معجزة، لكن ظهر لها أنه خلال الأسبوعين الماضيين لم يحدث أي تقارب طبيعي بين قلبيهما وعقليهما، وهذا لن يحدث بدون معجزة. كان هناك لهيب مشتعل، مريح، ودائم. بكل تأكيد يجب أن يكون داوود قد أحس به. هل أحس به فعلاً؟ هل يشرد عقله أحياناً نحو فاتن؟ كأنه أحس بحاجتها للإطمئنان، استدار.

«هل ما زال الورم يؤلمك؟» قال وهو يعود إليها.

«لا. لكنني لا أستطيع التزلج بسهولة كالعادة».

«الثلج خفيف. ستتزلج بصورة أفضل بدون الزلاجات، ربما».

طردت انشغالها عندما خرجا إلى العراء وأسرعت في هبوطها. كانت الشمس حارة عندما جلسا وظهراهما على صخرة بعكس الريح. وبعد أن تناولا غداءهما، أخرج داوود غليونه، وحفت دلال كتفيها على الصخرة، وأغمضت عينيها للشمس وقالت: «لا أستطيع احتمال انتهاء هذه الإجازة».

«كانت إجازة طيبة، أليس كذلك؟ أفضل طقس رأيته. وأفضل رفيقة. إنني لم أدفعك كثيراً، أليس كذلك؟».

«لا».

«أحياناً أنسى أنك هكذا. إنك لم تتعثري، ولم تسببي مشاكل».

«لقد كان أخي هورفيقي منذ أن تعلمت المشي. تعلمت قبول المبادىء».

خلعت قفازيها ووضعت إحدى يديها في يده وتأملتها. بدت صغيرة جداً وبيضاء في يده السحراء، القوية. ثم ابتسم لها ابتسامة غامضة وهو يعيد غليونه الفارغ إلى جيبه. «بما أننا نستطيع أن نؤلف مثل هذه الشراكة الجيدة على الجبال، هل تعتقدين أن بالإمكان تحويلها إلى شراكة دائمة؟ أحياناً في الآونة الأخيرة اعتقدت أنني مهم بالنسبة لك، وأنا أعلم بأنك مهمة بالنسبة لي. إنك تهميني أكثر من أي شخص في العالم. هل لديك الشجاعة الكافية لتتزوجيني؟».

«نعم»، قالت ببساطة، ووضعت يده على خدها لحظة. «إنني أكن لك عاطفة قوية، ياداوود. لقد احتفظت بهذه العاطفة منذ فترة طويلة. لكنني لم أعتقد بأنك تريدني بتلك الطريقة».

وضع ذراعه عليها وأدناها منه.

«لقد كنت بطيئاً في رؤية النور. في الحقيقة، أنا لم أشاهده. لقد تسللت بدون علمي، تماماً مثلما فعلت أول مرة في القرية، ولم أستطع أن أفعل شيئاً حيال ذلك. لقد وعيت على الحقيقة ذات يوم فوجدت أنك قد تأسست في حياتي، وكانت علاقة سعيدة ومذهلة».

«متى أدركت ذلك لأول مرة؟».



«هذا مضحك. عندما أخبرتني والدتك أنك أنت وماجد قد خلقتما لبعضكما. غريزياً اعتقدت، إنها لا تستطيع ترتيب ذلك. ثم بدأت أعجب من سبب شعوري بالحنق والإنزعاج. وعندما أخبرتيني بأنه لا شيء بينكما، شعرت بأن حملاً ثقيلاً انزاح عن كاهلي».

«إذن لهذا السبب كنت مرحاً عندما غادرت في ذلك المساء. لقد أخبرتني تقريباً عندئذ، أليس كذلك؟».

«نعم. لكن الوقت لم يكن مناسباً. كان يجب عليّ أن أذهب تلك الليلة. وعلى كل حال، لم أبدل مشاعري. لكن عندما وقفت عند الباب، لتوديعي، أدركت كم سيكون جميلاً توديعك، وكم سيكون مفرحاً لقاؤك عند العودة إلى البيت. وبعد ذلك، عندما عدت، وسمعت بنبأ اختفائك وأنك ربما قتلت. إذا كنت بحاجة إلى مزيد من الإقناع، فإن ذلك الكابوس في نهاية الأسبوع كان كافياً. كل ما أستطيع أن أفكر به هو أن القدر قد وهبني فرصة ثانية من السعادة العجيبة، ثم اختطفها مني».

أدناها منه برقة لم تعهدها من قبل.

أكملا الجزء الأخير من رحلتهما تحت ضوء القمر، الذي أضاف سحراً خاصاً للمشهد ووضع نهاية سعيدة للإجازة. أسرعا بهبوط المنحدرات عبر أشجار الصنوبر وأنوار القرية تتلألأ مرحبة بهما، وكانت دلال غارقة في سعادة عارمة لأن المعجزة قد تحققت، والسؤال الأخير الذي كان في زوايا ذهنها قد طمس تماماً.

ربما كان ذلك يوم السبت بعد عودتهما إلى البيت، عندما اشترى داوود خاتم الخطوبة في أوكسفورد وعادا إلى القرية في المساء، واختفى آخر ظل لفاتن من قلب دلال.

طهت لمياء عشاء خاصاً في تلك الأمسية، واحضر سليم بعض الشراب. لم تتمكن رباب من لقائهما لأنها كانت تقوم بالترفيه عن بعض الزائرين من رجال الأعمال القادمين من الخارج، لكنها اتصلت هاتفياً لتهنئة داوود وكتبت رسالة محبة لدلال، وأبلغتها بسرور والدها للنبأ السعيد وأمنيته في أن تقام حفلة الخطوبة في المدينة.

«أعتقد أنه يتوجب علينا الذهاب، لكن هذه هي حفلة خطوبتنا الحقيقية»، قالت دلال. «فقط نحن الأربعة».

«وهل حددت موعد زفافك؟» سألت لمياء، وهي تلقي نظرة ناقدة على زوجها.

«السبت الأول من شهر آذار»، قالت دلال. «إننا لا نريد خطوبة طويلة وهذا يعطي مجالاً لمهندسي الديكور لتزيين البيت في القرية ولي الاختيار الستائر والأثاث. لقد أطلق داوود يدي تماماً في هذه القضايا. هناك شيء واحد يصر عليه، هو أن يأخذني إلى الشمال، لقضاء شهر العسل».

نظر داوود إلى وجهها الضاحك وقال: «لقد أكدت لك أن لا تخافي من المطر هناك».



غيرت دلال الحديث بسرعة إلى سافوي في جبال الألب، التي خططا لزيارتها ثانية في بحر سنة، لكن بالرغم من سعادتها العارمة، شعرت بنوع من ومضة كهربائية في الجو بينها وبين زوج المستقبل. تعجبت إذا كان جداها قد أحسّا بها، لأنهما انسحبا للنوم في ساعة مبكرة على غير عادتهما.

عندما بقيا لوحدهما، أشعلت دلال النار واستدارت لترى داوود ينظر إليها بملامح جعلتها تلتقط أنفاسها. أدارت الخاتم الماسي المرصع بالزمرد في أصبعها وقالت: «إنني ما زلت لا أستطيع أن أصدق هذا. هل يمكنك أنت؟».

«نعم. إنني مدرك لذلك تماماً. إنك تبدين جذابة للغاية في هذا الثوب الأخضر. إنه يناسب الزمرد. هل هو جديد للمناسبة؟».

«إنني أرتديه لأول مرة. لقد كان معداً للإجازة، لكن التعديلات استغرقت وقتاً طويلاً ولم يصل في الوقت المناسب».

«إنه ثوب مثير. هل يبدو ناعماً كمظهره؟».

أدناها منه وأخذ يتحسس بيده قماش الجيرسيه الحريري. شعر بها ترتعش فطوقها بذراعيه، فعرفت دلال أنه قد تمت الإجابة على سؤالها الأخير، وابتسمت بسعادة.

«يا زهرتي»، قال باحترام. «إنني أتخيل نفسي أقودك عبر المنحدرات بلطف على الطريق المتعرج، فقط لأجدك تتزلجين لوحدك بطريقة مذهلة».

«عندما تغرق التلميذة في بحر العاطفة مع أستاذها، فإنها تتعلم بسرعة فائقة»، قالت له.

عندما أراح ذراعه على كتفها، كانت مدركة تماماً لترنيمة السعادة في قلبها لأن المملكة التي قدمها لها كانت كاملة خالية تماماً من أي ظل لفاتن يمكن أن يعكر صفو حياتهما.



## العبرة من القصة

نستخلص من هذه القصة العبر التالية:

١ ـ أن يقنع المرء بنصيبه في الحياة، خاصة إذا كان يعيش في بحبوحة ورخاء، ويرفل بالمال والبنين الذين هم زينة الحياة الدنيا.

٢ ـ أن لا يحاول العيش على ذكريات الماضي، ويحاول إحياءها عن طريق الأبناء، إذ لربما انقلب السحر على الساحر.

٣ ـ على المرء أن يرضى بقضاء الله وقدره، وأن يتحمل المصاب بفقد عزيز عليه، وأن يردد دائماً، «إنا لله وإنا إليه راجعون».

٤ ـ يتوجب على المرء أن يتوخى الدقة والحذر عندما يريد أن يعلن خبراً، وهو يعلم أن مثل ذلك الخبر قد يحدث صدمة لشخص عزيز عليه، وقد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه.